الجغرافية السياسية و الجغرافية الاستراتيجية

[redacted] ترجمة أحمد عبد الكريم

الأهالي

الجغرافية السياسية
والجغرافية الستراتيجية

الطبعة الأولى ٣٠٠٠/ ٨/ ١٩٨٨

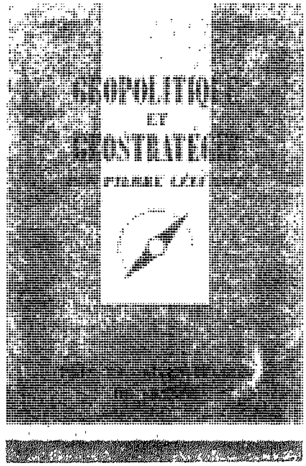
الأهالي

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق هاتف: ٤٢٠٢٩٩ ص.ب ٩٥٠٣ تلكس ٤١٢٤١٦

الجغرافية السياسية
والجغرافية الستراتيجية

الأميرال بيير سيليرييه
ترجمة : أحمد عبد الكريم



صورة النسخة الفرنسية

تقديم

كتـاب: «الجغـرافيـا ـ السيـاسية، والجغرافيا ـ الستراتيجية» الذي نقدمه اليـوم للقـارىء العـربي، هو محاولـة موضوعية جدية أقدم عليها المؤلف الأميرال «بيـير سليريـيـه» لتعيـد هذا الميـدان الشـائك شديد الوعورة، وتأطيره، والسعي للاحـاطـة بفـروعه ومقوماته وأسسه العلمية والتاريخية العديدة، وجعله في متناول الباحثين والخبراء والقادة من سياسيين وعسكريين.

واعتقـادنـا أن شمـوليـة البحث رغم كثافته وايجازه، تلفت انتباه القادة الى التشابك والتأثير المتبادل للعناصر الأساسية التي تشكل مكونات ما يمكن تسميته بعلوم «الجغرافيا ـ السياسية، والجغرافيا ـ الستراتيجية».

فالمكان والزمان والانسان، هي العناصر الأساسية لهذه العلوم.

والمكـان اليـوم أصبح بعد غزو الفضاء، ذو أبعاد ثلاثة، كما لم يعد للحواجز الطبيعيـة والمسـافـات الأهميـة نفسهـا التي كانت لها في الماضي، بسبب التطورات الهائلة التي طرأت على وسائل النقل والاتصالات.

حتى ليمكن القـول أن الحـدود بين الـدول والقارات زالت أو في طريقها الى الـزوال، وبمقـدور عدد محدود من الأقـمار الصنـاعية مراقبة التحركات التي تجري فوق كامل الكرة الارضية (برها وبحرها) بينما لم يكن بمقدور ملايين وسائل الرصد البرية والبحرية والجوية القيام بهذه المهمة قبل عقدين من الزمن.

والـزمـان، كان ولا يزال عامـلاً أسـاسيـاً بالنسبـة لحاجز ومستقبل البشرية

جمعــاء. فما من شعب صغـير كان أو كبـير يمكن فصـل مستقبله عن ماضيه وحاضره، كما لا يمكن فصله عن الحيز الجغرافي الذي يعيش فيه. هذا مع الأخذ بعين الاعتبار تصاعد أهمية الزمن بسبب المنجزات العلمية والوسائل التكنولوجية المدهشة التي أصبحت في خدمة الانسان، والتي تزداد تطوراً بين يوم وآخر، الأمر الذي جعل لكل ثانية أو جزء من الثانية أهمية قصوى في مصير الانسان.

والأمثلة الملموسة التي تؤكد ذلك يصعب حصرها، وابرزها على سبيل المثال، ما عرفته البشرية من تسارع في وتائر التطور خلال النصف الأخير من هذا القرن، فالحدث الذي يقع في أي نقطة من المعمورة أو الفلك الذي يدور حولها، يصل الى كل سكان الكرة الأرضية ساعة وقوعه، صوتاً وصورة، ومايسمى اليوم بحرب النجوم ووسائلها تقلص فرص التصدي للصواريخ المعادية الى دقائق معدودة. والمسافر حتى بالطائرات العادية، يمكن أن يتنقل بين عواصم العالم خلال يوم أو يومين بينما تدور المركبات الفضائية ـ المحملة بأسلحة الدمار أو بعدسات التجسس وعشرات المرات حول الأرض.. يومياً..

والوقت أو بالأحرى الزمان يختلف تعريفه بين أمة وأخرى حسب امكانياتها ومدى تطورها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتكنولوجي... فهناك من الشعوب من لايزال يعيش تطوره بعشرات السنين، وشعوب اخرى تحاول اقتناص الأيام والشهور والسنين لكي تستدرك مافاتها لتلحق أو تسبق غيرها، وتعد نفسها لمفاجآت آخر القرن القريب أو بداية القرن القادم الغامض وتكرس أفضل عقولها وجزء هام من امكانياتها لضمان مستقبلها.

وأخيراً يبقى الانسان هو العامل الأساسي ويبقى الوسيلة والغاية. لكل تطور، بصرف النظر عن أي نظام اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي، بل بصرف النظر عن أي عقيدة أو أيديولوجية، ذلك أنها جميعها تهدف الى سيادة وتأمين الحياة الكريمة له، والانسان هو صانع التاريخ، ومروض الطبيعة ومسخرها،

ولكنه في الوقت نفسه لا يستطيع التحرر من وطأة التاريخ، ولا يمكن التحرر من تأثيرات الطبيعة أو البيئة التي يعيش فيها.

والجغرافيا السياسية والجغرافيا الستراتيجية، احدى العلوم الحديثة التي يحتاجها القادة السياسيون والعسكريون في الانساق العليا التي تصنع فيها القرارات بشكل خاص، وهي مكملة للعلوم الانسانية والتطبيقية الأخرى التي تهيء لهؤلاء القدرة على الخطط السياسية والعسكرية العليا تحديد الأهداف، بما يتلاءم مع الظروف والشروط الموضوعية والامكانيات والوسائل المادية والمعنوية والبشرية، ولا يغفل الاطار العام الشامل المحلي والاقليمي والعالمي، ولا يتجاهل العناصر التفصيلية التي تربط كل حدث لها صغير أو كبير، بالمحيط الذي يقع فيه ولا يمكن أن تعزله عن العوامل الخارجية التي تطغى في عصرنا الحاضر وتؤثر عليه بشكل مباشر أو غير مباشر، الى الحد الذي يمكنها أحياناً من تسخيره لغايات مختلفة تماماً عن الغاية التي أدت الى حدوثه واخراجه من نطاق تأثير القوى التي سببته، لتصبح هي والحدث أداة طيعة ووسيلة بيد القوى الأعظم والأقوى...

ونحن اذ نقدم هذه الدراسة، للقارىء العربي، تدفعنا الى ذلك الرغبة، بتحريض الباحثين والمختصين للمزيد من الدراسات والبحث ليكون للامة العربية سياستها وستراتيجيتها المبنية على ماحباها الله سبحانه وتعالى من موقع جغرافي فريد وامكانيات وثروات، وما أنجزه الانسان في هذا الحيز الجغرافي الحساس من ثقافات وحضارات، أغنت البشرية ولا تزال.. مما يوفر له كل الفرص لكي يلعب الدور الذي يستحقه في العلاقات الدولية.

أحمد عبد الكريم

المقدمة

«ان محاولتنا هذه تركيب يبحث
عن نفسه، شأنها في ذلك كشأن العالم
الذي نسعى لفهمه».

● غاستون بيرجيه

الجغرافيات السياسية : La Géopolitique جزء متمم للجغرافيا العامة؛ وادارة الحروب كانت دائماً تهتم بالشروط الطبيعية لمسارح العمليات. غير أن السياسة والستراتيجية بقيتا زمناً طويلاً تمارسان في ميادين منفصلة؛ فكان رجل الدولة، والقائد العسكري ينظران للجغرافيا من زوايا مختلفة في أغلب الأحيان؛ ولم تكن هذه الطريقة توفر لكل منهما إلا معرفة «ساكنة» للوضع العام.

ولم يعد من الممكن استمرار هذا الاسلوب في أيامنا الحاضرة، لأن الجغرافيا اكتسبت معنى آخر، بعد ان سمحت الأساليب والوسائل العملية الحديثة، بالحصول على المعرفة الدقيقة للعالم في مظاهره واشكاله المتعددة، وباستنباط الأسباب التي تكمن وراء ما يطرأ عليه من تبدلات، وتقدير النتائج المترتبة على تدخل الإنسان بالتوازنات القائمة والتطورات التي قد تحدثها.

وهـذا التـدخل، ليس في الحقيقة سوى تجسيد لارادة سياسية، تأخذ عند الاقتضاء شكل «العمليات العسكرية».

والحـرب، كانت ولا تزال، حسب التعـريف المشهور عن كلوزويتز. «هي استمرار للسياسة بوسائل اخرى». ولا بد إذن للقائد العسكري (رجل الستراتيجيـة) ولـرجـل الـدولـة (السيـاسي)، من أن يفكـرا بالاتحاد.. إلى الحد الـذي يصـل أحيـانـاً إلى أن يشكـلا رجـلاً واحـداً. ذلـك أنهما يتواجدان ويتفقـان ـ في المفـاهيم الحـديثة للجغرافيا التطبيقية ـ في الميادين التي تعنيهما والتي يطلق عليها اسم «الجغرافيا ـ السياسية» و «الجغرافيا ـ الستراتيجية».

والـواقـع ان هاتـين الكلمتـين اخذتا تفقدان كل أثر من آثار الفذلكة اللغـويـة، التي كانت تسنـد اليهما عضوياً في الماضي، واصبحتا تعنيان نوعاً من التفكـير، وطـريقة خاصة لتصور الأشياء مما يلاقي الآن رواجاً واسعاً في أوسـاط المختصـين. إلا أن هذه الأفكـار لا تزال في أغلب الأحيـان مبعثرة، لأن الصـلات الـوثيقـة التي تربطهـا ببعضهـا لم تظهـر بما فيه الكفاية، على الرغم من الدروس الواضحة، والقاسية، في أغلب الأحيان، التي تزودنا بها الأحداث الراهنة.

ونـحـن لا نرى دائـماً إلـى أي حد تختـلط القضـايـا السيـاسيـة والستراتيجية، الكبرى، وكيف تحتاج بل وترتبط كل منهما بالأخرى في أيامنا الحـاضـرة. كما لا نرى، احيـانـاً، كيف أن العوامل الجغرافية ليست سوى معطيـات أسـاسية مشتركة في المجالين، كما أنها تشكل بنفس الوقت شروطاً للوصول إلى الحلول الصحيحة، وبذلك تعتبر مشتركة بالضرورة أيضاً.

وهـذا هو السبب الـذي حملنـا على وضـع هذه الـدراسة عن الميدان السياسي ـ العسكري.

ويبـدو أن الأحـداث التي وقعت في العالم منـذ نشرها لأول مرة (عام ١٩٥٥) حتى تاريـخ هذه الطبعـة الـرابعـة (عـام ١٩٦٩) أكـدت افكارها

الأساسية. وقد نوهنا للتبدلات الهامة التي طرأت عليها بالفعل.

والواقع الآن، أن «العنصر النووي» بشكل خاص، يسيطر أكثر فأكثر على العصر الذي نعيش فيه؛ وهذا لا يعني اطلاقاً اغفال العوامل التقليدية - وخاصة منها العوامل الجغرافية - عند دراسة أي ظرف من الظروف، أو تقييم الاحتمالات المترتبة عليه.

والحقيقة ان استخدام الطاقة النووية سيؤدي غالباً إلى تغييرات جذرية، كما كان الأمر بالنسبة لاستخدام البترول الذي ادى لتطورات عميقة في العالم. وان لتطبيقات التكنولوجيا الحديثة في مجال الالكترون سيكون لها آثار حاسمة لا تقل اهمية عن غيرها من المنجزات العظيمة.

ففي الميدان العسكري مثلاً، ترتب على استخدام الأسلحة النووية ثورة حقيقية، لأن آثارها التدميرية بلغت من الضخامة حداً يعجز خيال الانسان عن حصر مضاعفاته. ويبدو ان الدول لا تزال مصممة على عدم استخدام هذه القوة الرهيبة، بشكل كثيف على الأقل، في الحروب الشاملة.

ومع ذلك فمن المرجح أن يلجأ المتنازعون - في سبيل فرض ارادتهم - إلى استخدام الحروب الثانوية التي عرف الكثير منها في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية وقد اطلق عليها اسم «الحرب الاقليمية» أو «الحرب المحدودة» جغرافياً أو بسبب أنواع الأسلحة المستخدمة فيها، أو اساليب تصعيدها بدءاً من الخطب النارية الجماهيرية وحتى قنابل النابالم (والقنابل العنقودية) (بانتظار القنابل النووية المصغرة).

وفي كل الحالات، فإن أنواع وأهمية الحروب تتناسب مع أنواع الخصوم المتنازعين، كما تحددها أيضاً العوامل الجغرافية - الستراتيجية، والجغرافيا - السياسية، التي تحتفظ بدورها نفسه في الحروب الباردة وفي الحروب الساخنة.

الجزء الأول

الجغرافيا ـ السياسية

La geopolitique

«ان هذه الكلمة المشبوهة جداً، والممقوتة جداً، يجب ان يعاد لها اعتبارها، باعطائها معناها الحقيقي».

● ج. دوكاسترو

الفصل الأول

لمحة تاريخية

«بين السياسة والواقع تقوم هوة من الجهل
ومن منطق الرجال».

● ج. غوتمان

كانت الحاجة والفضول دائماً وراء اكتشاف الانسان لبيئته الأرضية، ورسم حدودها، وتحديد المواقع المتباينة عليها، وأخيراً وصف وتمثيل هذه النتائج بشكل ملائم.

وكان لكل زمن جغرافيوه الذين كرسوا حياتهم لتثبيت المعارف التي حصلوا عليها فسترابون (STRABON) وبتولوميه (Ptolemée) ، لا تزال شهرتهم ودقة أعمالهم تحتفظ بمكانتها حتى يومنا الحاضر[1]. غير ان هذه الدقة كانت نسبية،

---

١ ـ سترابون : STRABON جغرافي يوناني ولد في أمازيا عام ٥٨ ق. م وتوفي عام ٢٥ م. وألف كتاب «الذكريات التاريخية للجغرافيا الثمينة. (المعرب)

ـ بتوليميه Ptolemée Claude : هو عالم فلكي، وجغرافي، وعالم رياضيات، من أصل يوناني (٩ ـ ١٦٨م).

وقد اغفل المؤلف، الجغرافيين العرب الذين ساهموا في وضع علم الجغرافيا مثل ابن بطوطة، والادريسي، وغيرهما. (المعرب)

وبقيت الجغرافيات زمناً طويلا مقصورة على التقريب الذي يبدو لأعيننا الحديثة نوعاً من الابداع الخيالي. والواقع ان الصرامة، التي اعتدنا عليها، لم تبدأ إلا في نهاية القرن السابع عشر، عندما توفرت للإنسان أدوات القياس الصحيحة والدقيقة التي أمكن بواسطتها تحديد المواقع، وحساب المسافات، والارتفاع عن سطح البحر، ورسم الحدود. الخ . . وفي نفس الوقت ظهر الإحصاء، الذي يعتبر القاعدة الأساسية التي اعتمدت عليها الجهود الأولى لتحليل العوامل الاقتصادية.

ولعل في هذا ما يوضح أن الرجال الذين كانوا يديرون المجتمعات والدول في الماضي البعيد، لم يكونوا يعرفون ما يمكن ان تقدمه لهم الجغرافيا من عون لكي يقوموا بمهماتهم أو بالأحرى لكي يختاروا السياسة الملائمة ويطبقوها.

وان التنافس الشديد الذي اجتاح العالم باسمه أثر الاكتشافات الكبيرة[٢]، أدى لأول مرة في القرن الخامس عشر إلى اقتسام الأراضي على الأسس الجغرافية. ومع ذلك فإن السياسة لم تبدأ الاعتماد على العوامل المتنوعة التي تشملها الجغرافيا الحديثة إلا في نهاية القرن السابع عشر، واهم هذه العوامل هي: العوامل الإجتماعية، والعوامل البشرية، والعوامل الاقتصادية، والعوامل الطبيعية.

ومن الجدير بالذكر بهذه المناسبة ان «ماكيافيلي» نفسه[٣] كان يجهل هذه

---

٢ ـ رحلة ماجلان واثبات كروية الأرض من عام ١٥٢٠ ـ ١٥٢٢م. ورحلة كريستوف كولومبس واكتشاف القارة الأمريكية. عام ١٤٩٢م.

٣ ـ نيكولا ماكيافيلي Machiavel ـ سياسي وكاتب ايطالي ولد في فلورنسا عام ١٤٦٩م وتوفي عام ١٥٢٧، له عدة مؤلفات سياسية أشهر كتاب الأمير الذي ذاعت شهرته واحتفظ بها حتى الآن. (المعرب)

العوامل؛ وان فكرة «الحدود الطبيعية» العزيزة على الكردينال ريشيليو[٤] كانت مفهوماً جديداً يربط لأول مرة السياسة بالجغرافيا.

والجنرافيا ـ السياسية ولدت من دراسة هذه العلاقات. وسنحاول في هذا الكتيب ان نظهر كيف يمكن للمعلومات الجغرافية ان تكون مفيدة ـ بل وضرورية ـ لقيادة الشعوب في السلم كما في الحرب. وسترى ان رجل الدولة والقائد العسكري يجدان فيها الاسباب المشتركة لوضع خطوط العمل المتوازية أو التي تطيل هذا الخط أو ذاك.

وهكذا يمكن أن نلاحظ بأن السياسة والستراتيجية تسير بنفس الخط في هذا المضمار؛ وليس من المفاجىء إذن ان يكون «المحرض» الأولي لهذه اوتلك من فعل نفس الرجل الذي كان في وقت واحد، ادارياً عظيماً وستراتيجياً كبيراً. ويمكن القول ان الجغرافيا ـ السياسية، والجغرافيا ـ الستراتيجية، تنحدران من جد مشترك هو العالم فوبان VAUBIN [٥].

---

٤ ـ الكاردينال ريشيليو Cardinal de Richelieu رجل دولة فرنسي ولد في باريس (عام ١٥٨٥م وتوفي عام ١٦٤٢م) واصبح اسقفاً في مدينة ليسون Luçon في سن العشرين. وفي عام ١٦١٦ عينته الملكة ماري ديميديس سكرتيراً للدولة للشئون الحربية. وفي عام ١٦٢٢ اصبح كاردينالاً، وفي عام ١٦٢٤ اصبح عضواً في مجلس الملك وما لبث ان اصبح رئيساً لهذا المجلس (أي رئيساً للوزراء)، واصبح من أعظم رجال الدولة في تاريخ فرنسا. ومن أشهر منجزاته بناء جامعة الصوربون، وبناء القصر الملكي Palais Royal واحداث الاكاديمية الفرنسية عام ١٦٣٥م.

اما على صعيد السياسة الداخلية فهو الذي نظم المركزية الادارية التي دعمت الوحدة الفرنسية ونفذ الكثير من الاصحات المالية والقانونية والعسكرية.

(المعرب)

٥ ـ المارشال فوبان Vaubin

(Selastien de prestre de Vaubin) : المعروف بمارشال فرنسا، ولد في سان ليجية فوبان، (١٦٣٣ ـ ١٧٠٧) كان مهندساً لدى الملك، ثم سمي كوميسير عام للتحصينات عام ١٦٧٨، فحص حدود المملكة، وادخل تحسينات على دفاعات المدن، وقاد بنفسه بعض العمليات الدفاعية عن مدينة ليل عام ١٦٦٧ وفيليسبرغ عام ١٦٨٨. ولكنه مع ذلك فقد حظوة الملك

١ ـ الرواد الأوائل :

اعطت اعمال المارشال فوبان ودراساته ومنجزاته طابعاً مميزاً للعصر الذي عاش فيه ، وكان لها تأثيراً متمادياً على المقدرات العسكرية والاقتصادية الفرنسية. فقد كان يعتمد دائماً على الدراسة العميقة والمكثفة للجغرافيا الإقليمية حتى اصبح رائداً في هذا المجال. وهو جدير بهذا اللعقب أيضاً عندما يظهر العوامل الجغرافية المتغيرة ، والتي كانت مجهولة حتى ذلك الوقت : كالامكانيات الخاصة لمختلف الشعوب ، والامكانيات التي يمكن استثمارها من المصادر الطبيعية في البلاد والتي يضعها في المقام الأول من الثروات ـ وهذه فكرة جديدة ايضاً ـ والتغييرات التي يمكن ان تحدثها اعمال الإنسان في الحالة الطبيعية للأشياء.

وكان فوبان يسعى من وراء بحوثه ومنجزاته تحقيق هدف مزدوج وهو: تنمية قوة الدولة بزيادة وتحسين امكانياتها المالية عن طريق تنظيم الضرائب العادلة التي تؤمن مواردها من اقتصاد متطور عقلانياً. ثم تأمين الدفاع عن البلاد بالتنظيم الجيد للقوات المسلحة واستخدامها على احسن وجه ، واقامة شبكة من المواقع المحصنة في الأماكن الحساسة ، بشكل يسمح للوحدات العسكرية بالاستناد اليها والمناورة فيما بينها فوق اراض صالحة ومعروفة يجري اختيارها مسبقاً.

وإن الخطط والأنظمة التي وضعها فوبان. والمذكرات التي خلفها ، يمكن اعتبارها نماذج للدراسات الجغرافية الذكية. وان كتابة الأخير المسمى «العشر الملكي» La Dime Royale يطرح افكاراً لم تصبح مقبولة الا بعد مرور قرن كامل على نشرها.

ويشهد القرن الثامن عشر توسعاً سريعاً في معرفة العالم ؛ وفي هذا القرن ايضاً يبدؤ تصنيف المعلومات الجغرافية على اسس منطقية ، وتأخذ الجغرافيا الطابع العلمي المنظم ، وتصبح كلمة «الجغرافيا» معروفة ، وترددها الألسن في جميع المناقشات الفكرية لهذا العصر الذي كانت فيه السياسة من بين ابرز المواضيع التي تثير العواطف ، وكانت الجغرافيا تحتل مكان الشرف بين العلوم ، وكثيراً ما

كانت توجه الفهم للفيلسوف مونتسكيو بانه يغالي بالالحاح على التأثير الحاسم للعوامل الجغرافية و«عامل المناخ» بشكل خاص.

وفي هذا الوقت بالذات نشر السيد تورغو Turgot [6] ـ وكان لا يزال طالباً ـ مذكرة ذات دلالة تحت عنوان «الجغرافيا ـ السياسية»؛ شرح فيها أسلوباً لا يزال مقبولاً حتى يومنا هذا.

وأخيراً، فإن انتشار العلوم، حفز العقول على تطبيق القوانين الطبيعية على العلاقات بين الجغرافيا والسياسة، وما لبث ان تطور هذا الاتجاه بسرعة مذهلة، واصبح نوعاً من «الحتمية الجغرافية» التي تشرح كل شيء.

٢ ـ التطور في القرن التاسع عشر

كان على أوربا في عام ١٨١٥، ان تبحث في المناهج الجغرافية الحديثة، عن المبررات لتطلعاتها الجديدة والطرق التي تساعد على تحقيقها، [7] وقد لبث هذه المناهج بغيتها، وخاصة بالنسبة لألمانيا التي عرفت حيويتها وتفكيرها المنهجي.

وبعد أن هدأ الاعصار الهائل الذي اجتاح فرنسا في عهد الثورة

واصدر كتابه المشهور (un Projed de Dime Royale) دون ترخيص رسمي. عام ١٧٠٧ الذي صودر قبل قليل من وفاته.

المعرب عن لاروس اونيفيرسيل الجديد.

٦ ـ تورغو Turgot اقتصادي واداري فرنسي ولد في باريس (١٧٢٧ ـ ١٧٨١م)، واصبح مفتشاً عاماً للمالية عام ١٧٧٤ وانجز عدة اصلاحات هامة منها الغاء الرسوم الجمركية الداخلية، وحاول أن يحرر التجارة والصناعة ولكنه جوبه بالعداء من اصحاب المصالح فقد الحظوة واعفي من منصبه.

٧ ـ يتفق هذا التاريخ إلى حد كبير مع بلوغ الفتوحات الاستعمارية حد الذروة، وخاصة عندما حاول نابليون بونابرت توحيد أوربا تحت زعامته، واخذت كل من المانيا وايطاليا التطلع للوحدة والحصول على حصة مناسبة من المستعمرات في القارات الثلاث. (المعرب).

والامبراطورية أنعش الرومانطيكية السلبية الفارغة، حلت محله رياح هادئة منعشة تجدد الفكر وتصقله، وتتناغم مع النتائج التي توصل اليها العلم في جميع الميادين؛ ثم ما لبثت هذه الموجة الجديدة ان اشتدت وانتشرت في بسرعة مذهلة ففي جميع الاتجاهات؛ وأدى هذا التيار الفكري الجديد إلى انحسار التفسير «الغيبي» و«الحتمية الروحية» التي كانت تهيمن حتى ذلك الوقت على عقول الناس، وحلت محلها العقلانية البحتة، التي نادى بها الفيلسوف كانت KANT[8] و«الفلسفة الوضعية» التي نادى بها العالم الاجتماعي اوغست كومت Auguste Comte[9].

كما سجل القرن التاسع عشر بزوغ فجر العصر الصناعي الذي اخذ فيه التطور الصناعي يغير وجه العالم مادياً وانسانياً. واحتل الاقتصاد المكان الأول من اهتمامات السياسة، واصبح علماً حقيقياً بسبب كثرة وشدة تعقيد المشاكل الجديدة التي طرحها.

وبالرغم من تقدم العلوم، وتطور وسائل المواصلات، التي قصرت المسافات ويسرت اختلاط الشعوب ببعضها البعض، ظلت هناك حقيقة ثابتة تفرض نفسها على الانسان ألا وهي:

«ان كل التطورات والاحداث تقع على الأرض وترتبط بها حتى عندما تغيرها»..

وقد اعطى هذا التقدم للجغرافيا قيمة جديدة فاحتلت مكانة أكثر اهمية، بينما تأثرت مناهجها بالتجديد الفكري الذي اتينا على ذكره. واصبحت السياسة والاقتصاد والتنظيم الاجتماعي، تلجؤ للجغرافيا، على الأقل في حدود معينة،

---

٨ ـ KANT، صاحب نظرية العقل الصرف «Raaison Pur» فيلسوف الماني ولد في كونيسبرغ (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤).

٩ ـ اوغست كومت A.Comte صاحب الفلسفة الوصفية التي تعتمد على التجربة Positivisme، وهو فيلسوف فرنسي ولد في مدينة مونبيليه (١٧٩٨ ـ ١٨٥٧م).

لتفسير اصولها واتجاهاتها، وتبحث فيها عن عناصر جديدة تضيفها إلى عناصر أخرى لتبني بها «مذاهب للعمل».

وهكذا نشأت «الجغرافيا الحديثة»، وحصلت احدى فروعها على أهمية خاصة، لأن المشاكل التي تبحثها متغيرة وكثيرة الدقة، وتتعلق مباشرة بمستقبل البشرية عندما تحاول اقتراح الوسائل لتوجيهه، وهذا الفرع هو «الجغرافيا - السياسية». خاصة عندما يستوفي جميع عناصره ويثبت جدارته.

ونحن لا ندعي القدرة على تتبيع جميع اتجاهات وفضائل ومساوىء هذا الفرع تفصيلياً من خلال هذا البحث الموجز، إلا أننا نجد من الضروري والممكن تحديد «مدارسه» على الأقل.

٣ - المدارس:

ظهرت للملأ اربعة مدارس للجغرافيا - السياسية في وقت واحد تقريباً في اربع من الدول الغربية وهي: انكلترا، والمانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأميريكية، إلا أنه من الصعب الاعتراف بأن في امريكا مدرسة للجغرافيا - السياسية بالمعنى الصحيح، (فالاستاد ديفيس W.M. DAVIS، أسس الجغرافيا الطبيعية، والاميرال موهان MOHAN الذي قيل بأنه صاحب مدرسة الجغرافيا - السياسية الأميريكية، لم يكن سوى خبيراً بالستراتيجية).

أما منشئو المدارس الأوربية فهم بلا منازع:

آ - ماكندور MACKINDOR (١٨٦١ - ١٩٤٧).

ب - وراتزل RATZEL (١٨٤٤ - ١٩٠٤).

جـ - فيدال دولابلاس (١٨٤٥ - ١٩١٨)،

وكان اتجاه كل منهم يتفق بشكل غريب مع الطبيعة القومية، والمنهج الفكري الخاص ببلده.

وقد عرف الاستاذ ماكندور «البريطاني» بواقعية منهجه، وباستنتاجاته العملية الدقيقة والواضحة.

وقـادت «العقليـة الجـرمانية المذهبية» التي تمتاز بأنها مادية واسطورية بنفس الـوقت، قادت هذه العقليـة «راتـزل» إلى بنـاء مذهبه كأسلوب للعمل السياسي القومي. ومن هنا نشأت نظرية «المجال الحيوي» العزيز على النازية.

وأخـيراً فإن الاستـاذ فيـدال دولابـلاس الفـرنسي كان ينظـر للأشياء نظرة موضـوعيـة ونـاقـدة، تتجـاوز الحالة الراهنة؛ وملاحظاته الواردة في مؤلفاته تحض على التفكير الشخصي دون أن يفرض اويطرح نظرية قطعية.

ولكي تكمل هذا الجدول لا بد من القول ان «المدرسة الأميريكية ستنشؤ فيها بعد منهجاً تحليلياً، وتعليمياً وشكلياً على أساس الخلاصات التي توردها.

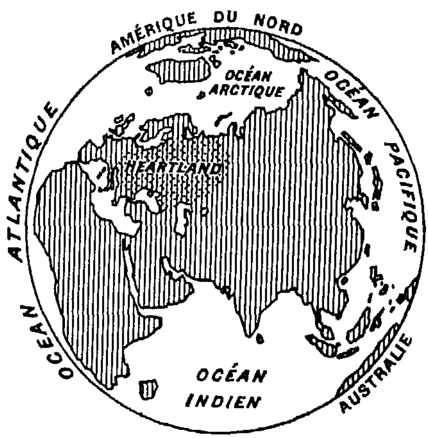
ولا ريب بأن هذا التـوافق (بـين اتجاهـات المـدارس الجغرافية السياسية، وعقلية الشعوب التي نشأت من ظهرانيها) يبرهن على اهمية الاسباب التي تقدمها الجغـرافيـا ـ السيـاسية، لتفسير أوللدفاع عن المواقف السياسية الوطنية في بعض الحالات، ولهذا فإننا سنسعى للإشارة إليها اشارة عابرة قدر الامكان.

كان فيــدال دولا بـلاس، على نقيض اسـلافـه، يبحث دائـماً عن تفسـير الظاهرة الجغرافية، ويرفض التوقف عند الملاحظة البسيطة للأحداث وتصنيفها. ولم يكن «المكـان» وحـده المقصـود من هذا البحث، بل شمـل بحثـه «الـزمـان» و «المدة» أي التـاريـخ، والعـلاقـات مع الظـواهر الأخرى، جغرافية كانت أم غير جغرافية. ذلك أن «الحدث» في نظره لا يبقى دائماً على حاله، فهوليس ثابتاً، بل متغيراً، يعطي الظـواهـر الجغرافية صفة الميوعة، وهذا مفهوم جديد وهام جاء به «فيـدال» ـ والسبب الأسـاسي، في هذا التغيير، هوفعل الانسان الذي ينتج عن اختيـار متعمـد، وليس كما يقـترح «راتـزل» اذ يعتـبره نوعاً من التدخل الغريزي الموروث الذي لا يمكن تجنبه، أو انه عمل مدفوع اليه الانسان عفوياً.

وأخـيراً يوضـح «فيدال» أهمية العلاقات، كالتبادل بأنواعه، والمواصلات، في حياة الأقاليم والبلدان. وهذه العلاقات تزداد أهمية مع كلما ازداد التقدم البشري.

أما «راتزل» فقد اعتمد في نظريته قبل كل شيء، على عنصرين أساسيين

تقـدمهـا الجغـرافيـا ـ السيـاسيـة وهـذين العنصرين هما: المكان او المجال محدود الاتسـاع، ومميـزاته الطبيعية، ومناخه الخ. . و«الموقع» الذي يحتله المكان المحدد فوق الكـرة الأرضيـة، ويحـدد نوعـاً ما علاقـاتـه. ويتحكـم «الإحسـاس المكاني» بتصـرفـات الإنسـان، أي قابلية وقدرة الشعوب على التأثير بالطبيعة. وتنظيمها واصـلاحهـا. وهـذا يعني أن مؤهلات الشعوب للتنظيم والقيادة تتفاوت فيما بينها أي أن قدرتها على حكم نفسها اوفرضها السلطة على الآخرين تختلف من شعب لآخـر. كما يمكن لهذه الملكـات ان تذبـل وتختفي نهائيـاً، ويمكن أيضاً أن تغرس وتنمـى: وهكذا نستطيع ان نتلمس في هذه النظرية شيئاً من «الروح العنصرية» أو التفوق العنصري.



شكل ـ ١ ـ
الجزيرة العالمية التي تخيلها ماكندور وتظهر عليها «مقولته» عن قلب الأرض.

وعلى الـرغم من كل ذلـك، فإن نظـرية راتزل لم تكن مغرضة وعدوانية فقط، بل يعتـبر تمييـزهـا بين «المكـان» و«المـوقـع الطبيعي» بجـدارة، رفداً فعالاً يحتفظ بصحتـه وفـائـدتـه حتى الآن. ويعتبر «ماكندور» الكرة الأرضية «كتلة واحدة من اليـابسـة»: ويطلق على مجمـوع القـارات الثلاث، اوربا، وآسيا وافريقيا، اسم «الجزيرة العالمية» (World is land) . وهو يرى أن مركز هذه الكتلة هو اهم منطقة بها، ويسميهـا «قلب الأرض»؛ وينطبق هذا المـركز على موقع روسيا تقريباً (انظر الشكـل رقم ـ ١ ـ). وهكـذا يصل ماكندور إلى عبارته المشهورة: «ان من يسيطر على أوربـا الشـرقيـة يسيطـر على قلب الأرض؛ ومن يسيطـر على قلب الأرض يحكم «الجزيرة العالمية»، ومن يمتلك هذه الجزيرة العالمية يحكم العالم».

إن هذه النظـريـة الخـلابـة تدعـو إلى التكفـير في تاريخ اوربا الذي تفسره العـوامـل الجغـرافيـة: وهي بمثابة درس «للقوى البحرية» يفهم منه «أن البحر لا يشكل ميزة بحد ذاته، وانما يساعد على تنظيم للقوى غني بالإمكانيات».

ويـلاحـظ مع ذلـك أن هذه النظـريـة أغفلت العوامل الجديدة الهامة التي تتعلق بتكنـولـوجيـا الفضـاء، كما ان تصـاعد القوة الأميريكية وتنظيمها اضطرت ماكنـدور إلى تعـديـل نظـريتـه فيما بعد. وأخيراً فقد حملت هذه النظرية صاحبها على ضرورة الحصـول على «تـوازن سياسي» وذلك عن طريق توحيد المجتمعات ذات المصـالـح والمثـل العليـا الـواحـدة. كما يسـاعد على تنظيم «الأمكنة» (جمع مكان)، بشكل سليم وفعال، ومن هذه الناحية تبقى نظريته سارية المفعول حتى الآن.

ويعتقـد «مـاكنـدور» أن توزيـع الأراضي والبحـار هو العـامـل الرئيسي، وينطلق من هذه الفكرة ليميز بشكل اساسي بين «القوى البحرية و «القوى القـاريـة»[١٠]، ونستخلص من هذا «أن الـدولة التي تمتلك القوة في البر والبحر معاً ستكـون هي السيـدة»؛ ولا يمكن تحقيق هذا الشـرط إلا إذا توفرت للدولة «كتلة

---

١٠ ـ Les puissances maritimes و Les puissanecs continentales

قاريــة» متجــانسة منفتحة على المحيطات وقوية بما فيه الكفاية . «ولما كانت روسيا وحـدهـا هي التي تملك مثـل هذه الكتلة الأرضية ، فلا بد من منعها من الحصول على منافذ للبحار الحرة ، إذا ما أريد الحيلولة بينها وبين الهيمنة على العالم» .

وهذه الخلاصة أيضاً لا تزال صالحة تماماً على ضوء الأوضاع الراهنة في العالم .

٤ ـ الآراء الحديثة :

تابـع احفاد فيدال لابلاس ، في فرنسا ، منهجه الحذر والمتنوع ، وتجنبوا مثله وضـع «مـذهب قطعي» يمكن استغلاله سياسياً ، ويمكن ان نذكر من بين هؤلاء السـادة : فالـو VALAUX ، وبـرونهيـه BRUNHES ، وانـدريه سيغفريد ANDRE SIEGFRIED ، وغـوتييـه GAUTHIER وديميـزون DEMAISON ، وغـوتمـان GAUTTMAN .

أما في الولايات المتحدة ، فقد ظهرت نظريات أصيلة تحمل الطابع الفكري المثالي والجريء بآن واحد .

غير أن الجغـرافيـا ـ السيـاسيـة ، في المانيا اخذت شكل «العقيدة السياسية المنهجية» وساهمت بالايحاء بـ «القومية الجرمانية العنصرية» مما عرضها للإدانة من الناحية الأخلاقية .

وقد تبنى آراء «راتزل» العالم السويدي KJELLEN ، واتخذ نفس مواقفه من الفلاسفة الألمان في القرن التاسع عشر ، واعطى دفعة جديدة للمدرسة الألمانية في فترة الحرب العالمية الأولى ، وحاول في كتابه الجديد الذي سماه « GEOPOLITIK» وضـع مذهب «يشبـه به الـدولـة بالانسـان ، ويقـارن بين أجهـزة الدولة واعضاء الانسان ، ويستنتج من ذلك أن الدول في علاقاتها تتصرف كما يتصرف الإنسان» . وأخيراً أيد البر وفوسور كجيللن «نظرية تفوق العرق الجرماني» ومؤهلاته القيادية الممتازة « RAUMSNN» .

ويأتي بعـد كجيللين ، رجـل ألمـاني أصيـل هو الـبر وفوسور كارل هوشوفر

KARL HAUSHOFFER ، ليتزعم «مدرسة موجهة» تماماً. وكان هوشوفر جنرالاً في الجيش واستاذاً في الجامعة، أي أنه كان عسكرياً وسياسياً في آن واحد، فجمع الصفات اللازمة لنشر الدعوة لمذهب قومي «سياسي علمي» تبناه القادة النازيون وايدوه بحماس شديد. فبعد أن أكد آراء «راتزل» و«كجيللين»، انتقل إلى تدعيم نظريته بمهارة خارقة، مستنداً إلى مراجع أجنبية. وكان يكفيه أن يوسع قليلاً نحو الغرب «قلب الأرض» الذي نادى به ماكندور البريطاني لكي يجعل آراء هذا الأخير في خدمة «القضية الألمانية».

وفي رأي هوشوفر أن الجغرافيا ـ السياسية يجب أن تكون «دليلاً لوجدان الدولة السياسي».

ان النجاح الظاهر لهذه «المدرسة الألمانية» وانتصارات ادولف هتلر الأولية السريعة، شجعت «اتباعها اللامعون» على المضي في هذا الطريق. فظهرت «الدعوة الفاشستية» في ايطاليا لتطالب بالسيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط واحياء الامبراطورية الرومانية؛ وتكرست فكرة «المجال الحيوي» في المانيا النازية، بينما أخذت اليابان تجن بالدعوة لـ «آسيا الكبرى» تحت زعامتها بالطبع.

وانه لمن الغريب أن نجد آثار هذه النظرية تغزو الولايات المتحدة الأميريكية، حيث أخذت بعض الشخصيات المعروفة تستعير منها الآراء عن الجغرافيا ـ السياسية دون أن تفطن في البداية لروحها العدوانية المغرضة. غير ان احداث عام ١٩٤٢[١١] ما لبثت ان أدت إلى ردود فعل شديدة، واصبح كل ما له علاقة بالجغرافيا ـ السياسية «مخرباً وشيطانياً» إلى حد ما في نظر الرأي العام الأميركي.

وإذا ما استثنينا هذه الظاهرة، نلاحظ ظهور اتجاهات جديدة جديرة بالاهتمام في الولايات المتحدة الأميريكية خلال السنوات العشرين الأخيرة. فقد

---

١١ ـ من اهم احداث ١٩٤٢، الغارة اليابانية المفاجئة على ميناء «هاربر» والتي أدت إلى اعلان الولايات المتحدة الأميريكية الحرب على اليابان. وهي من اهم القواعد البحرية الأمريكية في جزر هاواي.

طور الاستاذ سبيكمان SPYKMAN نظرية ماكندور بالنسبة للعالم الجديد (القارة الاميريكية) وذلك بتطبيقها على خارطة هذه القارة، وتوصل إلى خلاصات مماثلة (لما توصل اليه ماكندور) بالنسبة للاتحاد السوفياتي.

وابرز الاستاذ بومان BOWMAN الأهمية البالغة للعنصر البشري، وجسد «الزحف المستمر لجبهة الحضارة باتجاه الفراغ، (أو ما يطلق عليه اسم الأمكنة غير المنتجة) وباتجاه البربرية (والمجتمعات غير المتطورة). ونادى بومان بانتصار الحضارة، وانتصار الانسان على الطبيعة.

وأخيراً تبنى الاستاذ هنتنجتون HUNTINGTON «حتمية الجغرافيا» كمنهج فكري، واعطى «للمناخ» اهمية خاصة ودوراً حاسماً، وصاغ نظريته عن «الجفاف» لكي يشرح فيها التبدلات الكبرى في التاريخ. وتبدو لنا هذه النظرية ميالة للمطلق ABSOLU .

٥ ـ اتساع المجال الطبيعي للجغرافيا:

يقال أن التقدم قصر المسافات، وقلص أبعاد العالم ويسر التعرف عليه. وهذا صحيح إذا نظرنا للأمور نظرة سطحية.

ولكن هذه التسهيلات تقترن دائماً بجزية لا بد وان يدفعها الانسان مادياً ومعنوياً. فامكانيات التبادل المتزايدة والمتنوعة، تحمل في طياتها مشاكل جديدة وشديدة الخطورة أحياناً. وتعقيد النظام الاقتصادي والتحرر السريع للشعوب الخ.. تطرح مشاكل هائلة غالباً ما تختفي مصاعبها الحقيقية خلف تسهيلات ظاهرة. كما أن معطياتها بتغير مستمر، وكثيراً ما يجري هذا التغيير بسرعة مذهلة تعطل الحلول السياسية التي أنشأتها بعد جهود مضنية.

لذا نلاحظ ان مجال الدراسة والبحث يزداد اتساعاً يوماً بعد يوم، بدلاً من أن يتضاءل نتيجة للمنجزات والاختراعات الجديدة. كما نرى أن «المجال الطبيعي للجغرافيا» يكبر إلى درجة اصبح معها يمتد في «الأبعاد الثلاثة» ويشمل مناطق جديدة على وجه الكرة الأرضية نفسها.

ولقد ساعدت العلوم على اكتشاف «قيمة» بعض المناطق الصحراوية التي ظلت مهملة زمناً طويلاً؛ وظهر أن هذه المناطق تحتوي على مواد أولية كثيرة، وتختزن في باطنها كميات هائلة من الطاقة، هذا بالإضافة لهذه المناطق بحد ذاتها أهمية ستراتيجية حيوية بسبب موقعها الجغرافي، وهكذا اكتسبت أهمية ومكانة ممتازين بالنسبة للسياسة الدولية.[١٢].

هذا وتزداد اهمية الفضاء الخارجي يوماً بعد يوم، كلما ازداد مدى المركبات الطائرة (من طائرات وصواريخ واقمار صناعية وسفن فضائية)، ويطرح ذلك على البشرية مشاكل جديدة، أدى بعضها بالفعل إلى نزاعات سياسية خاصة بالنسبة «للمجالات الجوية الوطنية».

وأخيراً فإن استطلاع اعماق البحار والمحيطات وتوفر بعض الامكانيات العملية لاستثمار ثرواتها المخزونة، فتحت مواضيع جديدة للنقاش. ومن المعروف أن الولايات المتحدة الأميريكية اتخذت موقفاً صريحاً في هذا المجال، وذلك بالبيان الذي أصدره الرئيس ترومان، وحاول فيه، أن يعطي «الصفة الوطنية» لآبار البترول العائمة فوق سطح البحر.

والجغرافيا ـ السياسية العادية تعطي وصفاً لتقسيمات العالم على شكل دول، في مرحلة زمنية معينة. أما المعلومات الخاصة ببعض المناطق الواسعة فغالباً ما تكون أميل للعموميات والشمول ولا يمكن اعتبارها «تركيباً».

أما العوامل الحاسمة من الناحية السياسية، فتعالجها فروع الجغرافيا الأخرى، بشكل منطقي ظاهرياً، ولكنه غالباً ما يكون سطحياً، ومن هذه الفروع: الجغرافيا ـ الطبيعية، والجغرافيا ـ البشرية، والجغرافيا ـ الاقتصادية، الخ..

---

١٢ ـ ومن الأمثلة الصارخة على ذلك الاهمية الكبرى لكل من الاسكا، والقطبين الشمالي والجنوبي، والصحراء الكبرى وبشكل خاص، الربع الخالي في السعودية ومناطق البترول في الجزيرة العربية اجمالاً. (المعرب).

أمـا «الجغـرافيـا ـ السياسية» فتسعى جاهدة للربط بين كل هذه العناصر، واستنتاج أسبابها الحقيقية، وتطوراتها، وتأثيرها المتبادل، لكي تصل إلى «تركيب» وضع سياسي قائم وتحديد امكانياته. وهي غير ساكنة، ولا تكتفي ابداً بأن تكون «محضـر ضبـط» لا يتبـدل إلا بتسجيل ملابسات الاحداث اللاحقة. وهكذا نرى ان «الجغرافيا ـ السياسية» تنبض بالحياة، كالأحداث التي تعالجها.

وفي رأي السيـد جان غوتمـان Jean Gottman «أن الـوقـائع في السياسة وفي الجغـرافيـا ليس لها قيمـة إلا بردود داخـل المجتمعات. أما السكان فقيمته تتوقف على الإنسان المنظم الذي يعيش فيه».

صحيـح أن التفسـيرات المغـرضـة تساعد العقائدي (رجل المذهب) على خدمـة أهـدافـه، والجغـرافيا ـ السياسية الألمانية كانت مثالاً بارزاً على ذلك أداة العالم، ولكن أليس الأمر كذلك بالنسبة لجميع العلوم، وكل الدراسات؟ يستوي في ذلك علم التاريخ، وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع. . الخ. خاصة إذا سيطرت عليها المصالح والأهواء وتغلبت على الفكر النبيل.

الفصل الثاني

ميزة ومجال
الجغرافيا ـ السياسية

«يـومـاً بعد يوم، تغدو الجغرافيا البشرية،
جغرافية الإنسان!»

● ماكي سور

١ ـ العوامل الثابتة

آ ـ المكان وتقسيماته : تهتم الجغرافيا ـ السياسية بدراسة «المكان» فوق الكرة الأرضيـة، في نطـاق سكنـاه او استخـدامـه من قبل الإنسان. فالميزات الطبيعية، والاقتصـاديـة والتقنيـة، والثقـافيـة، والـدينية، والعرقية، والتاريخية، والحقوقية، والستراتيجية، تتداخل ببعضها لتعطي للعالم تنوعاً لا نهاية له.

وهذا التنوع نفسه في تطور مستمر، لأن الإنسان يتدخل بالعناصر، حتى الثـابتـة منهـا، والطبيعية بشكل خاص ـ ليغير علاقاتها. وهكذا فإن العناصر التي

تتشابه في الأصل، يمكن أن تختلف أحياناً اختلافاً عميقاً، تبعاً للتنظيم الداخلي لشعب ما، وللمؤثرات الخارجية التي تتلقاها من الشعوب الأخرى. هذا بالاضافة إلى أن طاقات شعب ما تتبدل مع الزمن شأنه في ذلك كشأن الأفراد، ويختلف نفوذه طبقاً لهذا التبدل.

وهكذا فإن «المكان» متميز ومنظم بآن واحد. وحدوده السياسية ـ أي تقسيماته إلى دول أو مجموعات دول ذات نظام واحد ـ هي الإطار الذي تمارس فيه السياسة بهدف الحصول على التغييرات الضرورية.

أما على الصعيد الدولي، فإن الرغبة بالتغيير، الذي يفيد دولة واحدة على حساب الدول الأخرى، معناها ممارسة سياسة الاحتلال السيطرة. أما رفض التغييرات التي تقتضيها حياة العالم، فمعناه العزلة السلبية أو الطوباوية. والحكمة هي القاسم المشترك بين هاتين السياستين. وهذا ينطبق تماماً على المستوى الاقليمي.

ب ـ الأرض: إن أراضي دولة ما، تشكل العنصر الأساسي للحدود السياسية، وتتميز بمساحتها، وبنيتها الطبقية وهيأتها الخارجية، وأخيراً بموقعها الذي تعلق عليه الجغرافيا ـ السياسية أهمية خاصة. وبالإضافة إلى ذلك فإن وجودها في منطقة ذات «مناخ» معين يحدد على وجه التقريب انتاجها والمميزات الطبيعية والمعنوية لشعبها.

والأرض، بالنسبة لشعب ما، هي قبل كل شيء الثروة الوطنية المقدسة التي لا يجوز مسها. وأن الوسيلة الوحيدة لتبديلها هي «الحرب» أو الرغبة المطلقة الاجماعية للذين يسكنوها.

---

١ ـ المساحة: لم يعد للمساحة تلك القيمة التي كانت تعطى لها في الماضي، عند المقارنة بين الدول الصغيرة والكبيرة، حتى عند التساوي بعدد السكان؛ فهناك عوامل أخرى تدخل في مثل هذا التصنيف وخاصة منها، النظام الاقتصادي وصفات الأمة نفسها، وبهذا تصبح بعض النظريات القديمة خاطئة؛

كالنظرية التي تنادي «باتساع مساحة الدولة، او المجال الحيوي»، والواقع ان «النوعية» هي العنصر الأفضل.

ومع ذلك تبقى المساحة المستثمرة جيداً، عاملاً أساسياً للقوة؛ وسوف نرى محسناتها الستراتيجية كما سنشير بشكل خاص إلى «مفهوم كتلة الوسائل» التي اصبح عاملاً حاسماً في الحياة الحديثة.

٢ ـ البنية الطبيعية: على الرغم من أن البنية الطبيعية هي اكثر العوامل ثباتاً، إلا أن كل عنصر من عناصرها قابل للتبدل مع التقدم. فالري مثلاً يُحيي الأراضي كانت مجدبة في الماضي؛ كما أن نضوب بعض الخزانات الجوفية أو اكتشاف جيوب جديدة يغير من قيمة الأراضي.

والواقع أن تدخل الإنسان في هذا الميدان يعتبر حاسماً، لأن روح المغامرة والحس التنظيمي يغيران الطبيعة السلبية، فاصلاح الأراضي، وانجاز خطط التنمية الصناعية او الزراعية، وتنظيم التبادل فيما بينها، يعطي للأرض الحياة، ويساعد على تحقيق فعالية أكبر في مجال الدفاع الوطني.

٣ ـ الهيئة والتضاريس: ويحددها خط الحدود الذي يعود تخطيطه لأسباب متعددة: كالرغبة بالأمن والوراثة، والمعاهدات، والضَّمْ، وقد تتبع الحدود احياناً خطاً طبيعياً (مثل ذرى الجبال، أو مجاري المياه، أو الشواطىء)؛ كما يمكن أن تكون وهمية محضة أحياناً اخرى، (موازية اومنطبقة احدى خطوط العرض مثلاً)، وان الشعور الوطني يعطي للحدود قيمة رمزية وهذا شيء حسن، غير أن السياسة الواقعية يجب أن تنظر إليها بشيء من المرونة في الظروف الاستثنائية الخاصة، واستناداً لعوامل خاصة.

ومن بين هذه العوامل الخاصة، هي الميزة التي يمتاز بها سكان مناطق الحدود، الذين يوحون الحذر والود في آن واحد حيال جيرانهم ويميلون غالباً للتبادل التجاري والثقافي مع البلاد المجاورة.

والعامل الآخر هو نفوذية الحدود السياسية (أو قابليتها للتسلل والامتصاص) مما يساعد على التبادل والتفاهم؛ وهذه الصفة لا علاقة لها، اغلب

الأحيـان، بالنفـوذيـة الطبيعيـة: فالستـار الحديدي مثلاً على الرغم من أنه وهمي ومصطنـع، ولكنـه يشكـل حاجـزاً اكثر فعالية من «نهر الزين» أو «جبال الألب». وبهـذا يمكن القـول «أن الحضارة تقاس بمدى نفوذية الحدود»، وقد برهنت على ذلك اوربا في القرون الأخيرة.

والشاطىء البحري يشكل حداً طبيعياً واضحاً، ويمكن أن يكون مفتوحاً جداً اومغلقـاً حسب رغبـة الـدولـة، وتمتـاز الحـدود البحرية بامتدادها حتى نهاية المياه الإقليمية وفقاً للقانون الدولي.

جـ ـ الموقـع: La Position، هوعامـل اسـاسي بالنسبـة للجغرافيا ـ السياسية، ـ وعليـه تتـوقف الاتصـالات مع الخارج، التي تعتبر بدورها شروطاً أساسية للقوة. وقد أحدث تطور الطيران تغييراً نسبياً في قيمة الموقع الجغرافي، إلا أنه لم يقلل من هذه الحقيقـة الاسـاسية؛ وان نشاط المطارات الدولية الكبرى ذات الموقع الممتاز، لدليل واضح على ذلك، وعلينا أن نلاحظ بأن محسنات موقع ما ليست حقيقية إلا بمقدار ما تجهزه الدولة بالوسائل التي تسمح باستثماره، وبالرغبة الصادقة بذلك.

وإذا كانت هذه المـزايـا تخص ممراً اجبـاريـاً للمـواصـلات الأجنبيـة، فإنها تتطلب وجـود قوة قادرة على حمايـة حقـوق الـدولـة صاحبـة الممـر بدءاً من «حق السيـادة». وإذا كانت ميـزة المـوقـع تعـود للتهسيـلات التي تساعد على الاشعاع البعيد، فإنه يحتاج الوسائل المادية لتأمين اتصالاته مع الخارج والدفاع عنها.

١ ـ المـواقـع البحـريـة: ـ منذ أقدم العصور كان الاتصال بالبحر من أبرز الشـروط المـلائمة لتوسع بلد ما، ويمكن القول انه ضروري من أجل بلوغ درجة معينة من القوة العالمية، ولا يمكن تصور ذلك إذا لم تتحرر الدولة من الوسطاء في علاقاتها الخارجية. وعلى الرغم من وجود بعض الأمثلة عن دول قوية شذت عن هذه القـاعـدة، غير ان البلدان التي في مثـل هذا الـوضـع، تعتـبر محاصـرة سلفاً وبشكـل طبيعي، وبـالتـالي يمكن احتـواءهـا بسهـولة، وهي أخيراً محكوم عليها بالعـودة إلى الضعف الـذي يتـلاءم مع موقفها، إلا إذا استطاعت الحصول على منافذ للبحار تتنفس منها.

ومن هنا يمكن أن نفهم مغزى الجهود الجبارة التي كانت تبذلها بلدان كالمانيا وروسيا، للحصول على القوة البحرية، منذ اللحظة التي تشعر فيها بأنها اصبحت في مستوى القوى الأوربية الكبرى أو في مصاف القوى العالمية العظمى، ولهذا نجد ان غليوم الثاني امبراطور المانيا وبطرس الأكبر قيصر روسيا كانا متمسكان بهذه الفكرة إلى حدود الهوس. وعلى عكس ذلك فإننا نجد بعض الأمم لا تستغل مميزات مواقعها البحرية الملائمة لأن «العادة» جعلتها تنعم بجهل أسباب القوة التي توفرها لها هذه المواقع.

من الجدير بالذكر ان توزيع الأرض والبحار تزداد أهمية إذا كانت الخلجان العميقة، ومصبات الأنهار، والأنهار نفسها، تطيل الطرق البحرية حتى تبلغ قلب البلاد. ومن المعروف أن «طبائع» السكان تتأثر بهذه الحالات، ويؤدي بها ذلك إلى اتخاذ مواقف سياسية واجتماعية خاصة إلى حد ما.

ويمكن القول أن «الحضارة الغربية» التي تتصف بالمرونة والذكاء، كانت ذات أصول بحرية أساساً، أي أنها ترجع الى أصول متوسطية (نسبة للبحر الأبيض المتوسط) وأطلسية (نسبة للمحيط الأطلسي). وان الفكر المطلق والدكتاتورية السياسية يولدان ويترعرعان في البلدان القارية[1].

والموقع الساحلي هو «حد دولي» بنفس الوقت ولكنه ليس على تماس مباشر

---

١ - ان هذا الجزم يعوزه المنطق العلمي، وبالرغم من أن المؤلف يضمر الاستشهاد بأمثلة محددة ومعروفة، إلا أن هناك بعض الأمثلة التي تضعف حجته ويمكن أن نسوق منها على سبيل المثال لا الحصر، الدكتاتورية في اليابان وهي «جزيرة» اي قوة بحرية، والدكتاتوريات في الجزء الجنوبي من القارة الأميركية، وهي جزيرة ضخمة أيضاً، وترجع الدكتاتوريات فيه لاسباب يمكن أن تكون مفتعلة، كما يمكن ان نسوق «الحضارة العربية الاسلامية» و«الحضارة المسيحية» اللتين نشأتا على أرض شبه الجزيرة العربية، واعطتا للإنسانية عامة وقيماً جديدة لا تزال حتى يومنا هذا مصدراً فياضاً لا ينضب معينه كما جعلت من سعادة الإنسان الفرد وكرامته هدفاً اسمى تسعى لتحقيقه كل الأنظمة الديمقراطية في العالم. (المعرب).

مع الدول المجاورة، وهو بمثابة منطقة تحول بالنسبة للبلدان النشيطة المنفتحة على بقية اجزاء العالم، يساعدها على تحقيق الثروة من علاقاتها الملائمة مع الخارج.

والبلدان الساحلية تستفيد من المناخ البحري الذي يمتاز باعتداله ويساعد على تنوع الانتاج، كما ان انفتاحها على البحار يهيء لها التعامل مع كل الشعوب من مختلف الجنسيات، وبذلك يصبح سكانها على احتكاك بكل الثقافات مما يجعلهم اكثر اصطفاءاً من سكان المناطق الداخلية؛ واخيراً فإن هذا التنوع المزدوج، يضاف إلى خصائص اخرى ليعطي للبلدان الساحلية امكانيات كبيرة للقوة والتوسع (إذا هي وعت ذلك). البرزخ Les Isthmes .

والجغرافيا ـ السياسية تتفق هنا أيضاً مع الجغرافيا ـ الستراتيجية، فتعطي للبرزخ[٢] أهمية خاصة، باعتبارها مناطق ضيقة تمر منها بالضرورة المواصلات البرية ويتقارب فيها نفوذ بحرين وغالباً ما يكون التقارب بين عالمين. وعندما يعترض المواصلات حاجز جبلي ما، فإن طريق التبادل البري بين البحار (الواقعة على جانبي البرزخ) يزداد أهمية على طرفي هذا الحاجز: والمثال على ذلك هو أن جبال البيرنيية تفصل فرنسا عن اسبانيا، ولكن البحر الإبيض المتوسط والمحيط الأطلسي متصلان بواسطة البرزخ الذي يبدؤ من روسيون (Roussullon) وينتهي عند موقع (Medo) ميدوك[٣].

وقد لا يخلو من فائدة، التذكير بالدور الكبير الذي لعبته بعض البرازخ في

---

٢ ـ ISTHME البرزخ وتعريفه في الجغرافية الطبيعية هو: لسان من اليابسة ينحصر بين بحرين ويصل بين أرضين.

٣ ـ روسيون Roussillon احدى المقاطعات الفرنسية تشمل منطقة البيرينيه الفرنسية الشرقية وميدوك Medoc : منطقة فرنسية تابعة لبوردو، وتقع على الضفة اليسرى لنهر الجير وند ابتداء من بلانكيفورت وحتى البروز الساحلي في غراف.

تاريخ البشرية لأن اسماء السويس، وكورنثا، وبناما وسليسفيج[4] لا يمكن فصلها عن هذا التاريخ، فقد كانت مصادر للثروة ومواضيع للصراع، وهي بالإضافة إلى ذلك أماكن لاعمال كبيرة، لأن حاجة الانسان لوصل البحار أدت به إلى خرق هذه البرازخ (واقامة اقنية صالحة للملاحة) فزادت أهميتها على الصعيد العالمي.

واصبحت قناة السويس، وقناة بناما، وقناة كييل[5] من أهم النقاط المفتاحية الحوية وتوفر السيطرة عليها ثلاثة مزايا أساسية: سياسية، واقتصادية واستراتيجية.

ان الأهمية العظيمة للبرازخ التي تظهر في هذه الحالات الخاصة جداً، تحتفظ بقيمتها على مستويات اكثر اتساعاً. فالجغرافيا ـ السياسية تنظر لاوربا كـ «شبه جزيرة» تحتوي على عدد من البرازخ التي تسبح في مياه البحار في الجنوب والشمال؛ وسنتكلم عنها في بحثنا عن الجغرافيا ـ الستراتيجية. ولكن يجب ان نسجل هنا أن الحاجة لمضاعفة الطرق البرية بطرق ملاحية تبرز بوضوح في هذه المستويات: فالاتحاد السوفياتي مثلاً انجز فعلاً، ولا يزال يقوم باعمال ضخمة لوصل نهر الفولغا ونهر الدون بالبحر الأبيض.

المضائق Les Detroites: تلعب المضائق ايضاً ادواراً عظيمة الأهمية، لأن المواصلات البحرية تمر منها بالضرورة. وان كل دولة تشرف على مضيق ما انما تشرف على المواصلات الدولية التي تمر فيه. ولمواقع المضائق قبل كل شيء أهمية ستراتيجية، وهي بنفس الوقت صالحة لرسو السفن واقلاعها، الأمر الذي يجعل

---

٤ ـ SLESVIG: أو SCHLESWIG-Holstein وهي من مقاطعات المانيا الغربية الشمالية الواقعة على بحر البلطيق وعاصمتها مدينة كييل Kiel. ويصل هذه المنطقة إلى بحر الشمال بواسطة القناة بقناة كييل.

٥ ـ KIEL: قناة كييل التي تصل من بحر البلطيق وبحر الشمال. وتقع في مقاطعة سكينزويغ هولشتاين في المانيا الغربية.

منها مصدراً عظيماً للشروة. وغالباً ما تقام المدن والموانيء الكبيرة ذات النفوذ الواسع على شواطىء المضائق. ويذكر التاريخ أن الغزاة المتعاقبين استطاعوا عبر الزمان ان يغير وا مدينة واحدة ـ تقع على شواطىء مضائق البوسفور ـ ثلاث مرات تحسب كل منها مرحلة تاريخية: بيزنطة، فالقسطنطينية، ثم استامبول.

وعلى الرغم من ان تطور الطيران أفقد هذه المضائق الكثير من اهميتها لقدرته على تجاوزها، إلا أن مضيق البوسفور مثلاً سيبقى مع ذلك احدى نقاط العلام في السياسة الدولية؛ وان الامبراطورية البريطانية ما كان لها أن تلعب ادوارها العظيمة (وتبلغ أوج عظمتها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) لولم تكن مسيطرة على مواقع جبل طارق، ومالطة، وعدن، وسنغافورة (التي تتحكم بأعظم المضائق التي تمر منها المواصلات البحرية بين الجزر البريطانية والشرق الأوسط والأقصى، وشرقي أفريقيا). .

الجزر: هي مواقع بحرية صرفة، وتستحق لهذا اهتماماً خاصاً، غير انه لا بد من الحديث عما يسمى بـ «المواقع الجزيرية» des positions insulanes؛ وكذلك المناطق التي تعزلها عن القارة عوارض طبيعية لا تسمح بالمواصلات البرية العادية مما يجعلها غير قادرة على اقامة علاقات مع بقية اجزاء العالم إلا عن طريق البحر أوالجو، وهذه هي الحال بالنسبة للبلدان التي تشكل مواقعها أشباه جزر مثل: اليونان، وايطاليا، واسكندنافيا، والبريا (اسبانيا والبرتغال) والمغرب (العربي)، وجميعها معزولة عن القارة بسلاسل جبلية أو بصحارى صعبة المسالك.

و«الموقع الجزيري» يساعد على الاستقلال وحرية العمل، ويوفر للبلد محسنات كبيرة، كالموانىء، والتعامل التجاري براً وبحراً، كما يشكل مركز اشعاع يطل من جميع جهاته على العالم فيؤمن لصالحه حرية اختيار النقاط التي يريدها لتطبيق قوته. . أي ان يجعل جزيرته قلعة حصنية أو نقطة انطلاق تهدد الأخرين باستمرار.

هذا بالإضافة إلى أن سكان الجزر يتمتعون بصفات ملائمة تمكنهم من

استغلال خصائص بلدهم، وهذا هو شأن شعوب جزيرة كرنب واليونان القديم واسبانيا والبرتغال (في عصر النهضة) وانكلترا الحديثة واليابان.

ولعل من المفيد النظر من هذه الزاوية لتاريخ الولايات المتحدة الأميريكية الذي تأثر إلى حد بعيد بانكلترا، وذلك لأنها (أي انكلترا) لم تعدل عن مطامعها التوسعية في القارة الأوربية إلا في القرن الخامس عشر، عندما وعت خصائصها البحرية. ومنذ ذلك الوقت استطاعت ان تصبح سيدة البحار دون منازع، وان تفعل كل شيء من أجل المحافظة على هذا المركز. وهكذا اصبحت تتمتع بالحرية الكاملة في اختيار حلفائها، فتدخلت في القارة الأوربية وفي القارات الأخرى، واقامت التجمعات الأقل قوة لتطوق بهم خصومها الأكثر قوة (وهذا هو شأن اسبانيا وفرنسا وروسيا والمانيا فيما بعد. .)، وقد تمكنت بريطانيا منذ ذلك الوقت باعتبارها «الحكم الوحيد للتوازن الاوربي» أن تستغل امكانياتها الجزيرية على اكمل وجه: ففجرت الثورة الصناعية على أرض الجزيرة ـ ونظمت التجارة في ما وراء البحار وأقامت الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.

وفي القرن التاسع عشر بدأت روسيا العملاقة تتطور، وأخذ قياصرتها يمارسون سياسة توسعية برية وبحرية باتجاه «البحار الدافئة»؛ هذه السياسة التي تابعها الاتحاد السوفياتي بعد ثورة اكتوبر.

أما انكلترا الذرائعية فسرعان مانسيت حقدها على مستعمرتها الامريكية القديمة التي طردت منها نهائياً عام ١٧٧٦م[٦]، واستدارت نحوها من جديد لتقيم معها اسساً جديدة قوية لتفاهم انكلو ـ ساكسوني، استطاع أن يصمد امام كل التجارب على الرغم من ان هذه الاسس لم تقترن بأية معاهدة رسمية. وكان الفضل في وضعها لرجل الدولة البريطاني CANNING [٧].

---

٦ ـ اعلان الاستقلال الاميريكي بتاريخ ٤ تموز ١٧٧٦م.

٧ ـ (Georges). Canning جورج كانينغ رجل دولة بريطاني ولد في لندن (١٧٧٠ ـ ١٨٢٧م) اصبح وزيراً للخارجية البريطانية (١٨٠٧ ـ ١٨٠٩) ثم كلف للمرة الثانية بهذه المهمة في عام ١٨٢٢، وتقلد رئاسة الوزارة البريطانية عام ١٨٢٧م.

ومنذ ذلك الوقت اصبحت الولايات المتحدة الامريكية على استعداد للتدخل في أوربا وخارجها إذا لزم الأمر، واصبح «مذهب مونرو» في حقيقته العملية أقل انعزالية، وأميل إلى «المفهوم السياسي الجزيري» على الأسلوب البريطاني، ولكنه متلائم مع المقياس الأميركي.

لقد ادرك العلامة الفرنسي توكفيل[٨] هذه السياسة، فكتب متنبئاً منذ عام ١٨٣٥ ما يلي: «هناك، اليوم، شعبان انطلقا من نقطتين مختلفتين ويتقدمان نحو نفس الأهداف، وهما الشعب الروسي، والشعب الانكلو ـ ساكسوني ـ أي الأمريكي». وتوقع توكفيل تصادمهما.

والواقع ان الخصام الايديولوجي عزز التعارض بين المحيط والقارة، لأن الاتجاه الليبرالي بحري، والاتجاه الدكتاتوري قاري.

ومع احتدام الصراع بين هذين العملاقين، (الاتحاد السوفياتي، والولايات المتحدة الأميريكية) اصبحت الدول الأوربية كلها «متوسطة» أو «صغرى» وأصبح عليها أن تختار الانضمام إلى هذا المعسكر أو ذاك، ويمكن لبعضها أن تختار بملء حريتها على الأقل.

وهكذا يتفق التاريخ مع الجغرافيا ـ السياسية بالنسبة للبلدان البحرية الليلالية. وهذا هو المعنى العميق لـ «حلف الأطلسي» الذي يرمز اسمه إلى علاقة اعضائه بالمحيط الأطلسي.

أما اليابان، فإن انطلاقها الهائل منذ بداية القرن ورغبتها بالهيمنة على آسيا، لا يمكن تصورهما إلا بعد أن فرضت سيادتها على المحيط الهادي. وكانت

---

٨ ـ Tocqueville او شارل الكسيس هنري دو توكفيل، وهو كاتب سياسي فرنسي ولد في باريس (١٨٠٥ ـ ١٨٥٩م) واقام في الولايات المتحدة بين اعوام (١٨٣١ ـ ١٨٣) ونشر كتابه المشهور الديمقراطية في امريكا (١٨٣٤ ـ ١٨٤٠) ثم اصبح نائباً في عام ١٨٣٩م ثم وزير للخارجية الفرنسية عام ١٨٤٩ ونشر في عام ١٨٥٦م كتاباً بعنوان «النظام القديم والثورة».

المعرب عن لاروس اونيفرسيل الجديد

الغـايـة من غارتهـا المفـاجئـة على «مينـاء بيرل هاربـور»[٩] هي محاولة ضمان هذه السيطـرة نهائيـاً على المحيـط الهـادي غير ان محاولتهـا تكللت بالفشـل، وجاءت هزيمتها من «البحر» الأمر الذي له دلالته ايضاً!!

وان انطـلاق اليـابـان المـذهـل في السنوات الأخيرة، يعود بالطبع لاسباب داخلية، تتعلق قبل كل شيء بميزات شعبها، ولكنه سيبقى معرضاً للنكسات إذا لم تتمكن اليـابـان من استغـلال امكـانيـاتها البحرية المتشعبة، وقد لا يكون ذلك مستحيلاً ما دامت تطمئن للحماية الأميركية، حيال تهديد الصين ومطامع الاتحاد السوفياتي.

٢ ـ المواقع المركزية: Les positions centrales : ان البلد المحاط من جميع جهاته ببلدان أجنبية يعتبر بالتعريف ذا «موقع مركزي». ويمكن لمثل هذه المواقع أن تكون ملائمة للتطور كما تسمح بالضغط بكل ثقلها على النقاط الخارجية التي تختـارهـا، بواسطـة القـوة أوعن طريق سيـاسـة التوازن. ولكن مثل هذا الضغط يكفي عادة لتـوحيـد البلدان المحيطـة لمواجهته. والتاريخ غني بالأمثلة التي تبرهن على خطورة هذه السياسة وخاصة في اوربا.

والـدولـة ذات المـوقع المركزي، تشعر دائماً بأنها مطوقة وخاصة عندما تتيقن من قوتهـا، وفي هذه الحـالـة تصبـح فريسـة لعاطفتين متناقضتين: الأولى تدفعها لتـوسيـع «مجـالها الحيوي» لكي تكون مطلقة اليد بالعمل على الجبهة التي تختارها بعد اطمئنانها للجبهات الأخرى.

---

٩ ـ PEARL HARBOR

+«» ٧ كانون اول ١٩٤٢ شن الاسطول الجوي والبحري اليابانيان، هجوماً مباغتاً على القـاعـدة البحـريـة الأميركيـة في ميناء بيرل هاربور التي تقع في جزر هاواي، ودمر الاسطول الامـريكي المـوجـود فيهـا، وفي صبـاح ٨ كانون اول من نفس العام اعلنت اليابان الحرب على الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا، واستراليا وفي ١١/ من نفس الشهر قطعت روما وبرلين علاقاتها مع واشنطن. (المعرب).

والثانية، تبرز عند قيام أزمة حقيقية اووهمية، فيتصور عندئذ أنها مهددة من جيرانهـا مما يزيـدها عزلة، ويدفعها لتبني سياسة عدوانية مغامرة تهدف إلى فرض هيمنتها أوخلق حزام أمن من الدول الضعيفة المحيطة بها[10]، وبذلك تصبح هذه الـدول معـرضـة للخطـر على الـدوام، بل قد لا تلبث ان تصبـح مسرحاً لحروب عديـدة داميـة، واحيـانـاً قد تفقـد حريتهـا واستقرارها لمدة طويلة كما كانت الحال بالنسبة لبولونيا[11].

والـدولـة المركزية تتقاسمها نزعتان في آن واحد، احداهما تدفعها للتوسع، والأخرى تجعلها في خوف دائم من الحصار. وقد تعرضت المانيا لمثل هذه الحالة. كما تبدو آثار هاتين النزعتين على سياسة الاتحاد السوفياتي الحالية.

ولا يمكن الحكم على واحـدة من هاتـين النـزعتـين بأنهـا اكثـر خطـراً من الأخرى على السلام.

ولم يستطـع تطـور الطـيران، تخفيف المصـاعب التي تعـاني منهـا الـدول المركزية؛ لأن حمولته لا زالت وستبقى محدودة، بالإضافة إلى أن الخطوط الجوية لا

---

١٠ ـ ان شعـور اسـرائيـل «بالغربة» عن المنطقة، وعزلتها في العالم العربي المحيط بها، بالإضافة إلى طبيعتهـا الاصليـة كمخلب من مخالب الاستعـماريين القـديم والحـديث، جعلها تسير على سيـاسـة التوسع والعدوان والغدر وتبني مبادىء التفرقة العنصرية لتغرس وتكرس الحقد في نفوس سكانها ضد العشب العربي خاصة وضد كل الحركات التحررية في آسيا وأفريقيا باعتبارها حليفاً طبيعياً للثورة الفلسطينية. (المعرب).

١١ ـ بولـونيـا كان تاريـخ هذا البلد سلسلة من المآسي طيلة قرون عديـدة بسبب وقـوعهـا بين امـبراطـوريـات عظيمـة تحاول كل منهـا تحسين مواقعها على حساب دولة بولونيا الضعيفة ولهذا كانت ضحيـة الصـراع بين النمسا وروسيا القيصرية والمانيا. بل لعل ذلك ينطبق ايضاً على كل دول البلقان. أما بعد ان اصبح الصراع على مستوى الكرة الأرضية بين «العملاقين الكبيرين» فقد اصبح كل العالم الثالث تقريباً في نفس وضع بولونيا في القرنين الثامن والتاسع عشر، (المعرب).

تؤمن الاتصالات المباشرة التي تؤمنها المواصلات البحرية، وتبقى خاضعة للمجالات الجوية والمطارات التي تشرف عليها الدول الأخرى.

ومن البديهي أن يكون «الحياد» امراً مرغوباً فيه بالنسبة للدول المركزية الصغيرة، ولكنها لا تستطيع عملياً المحافظة عليه إلا في الحالات النادرة؛ عندما تكون طبيعة اراضيها غير صالحة اطلاقاً لعبور القوات: وهذه هي الحالة الاستثنائية للجمهورية الاتحادية السويسرية، التي تتمتع بسمعة دولية استثنائية ايضاً[١٢].

وأخيراً لا بد من التنويه بأن «الرأي العام» في الدول المركزية الكبرى، يشكل احياناً عنصر لجم لسياساتها التوسعية، وهو نوع من الميل «للعزلة» يشعر به سكان أواسط الولايات المتحدة الامريكية (Maddel Went)، غير أن هذا الميل لا يمكن أن يتواجد ويشتد إلا إذا كان التطور الداخلي للبلد المعني بكامله لا يزال بعيداً عن بلوغ حدود امكانياته: وهذا يعني أن يكون البلد قادراً على الاكتفاء الذاتي ولا ينقصه المواد الأولية أو غيرها. ويتضاءل هذا «الميل للعزلة» بمقدار ما تظهر الحاجة للمواد الأولية أو الأسواق الخارجية الضرورية لتصريف منتجاته[١٣].

٢ ـ العوامل المتغيرة:

١ ـ السكان: إن اية مقارنة أولية بين شعوب الدول تكشف عن خصائص

---

١٢ ـ هناك عوامل تاريخية وسياسية واقتصادية هامة ساعدت على حياد سويسرا بالإضافة إلى بنيتها الجغرافية. من بينها أن الدول الاوروبية الكبرى المجاورة لها (المانيا، ايطاليا، فرنسا، النمسا) كانت بحاجة إلى تحييد عقدة المواصلات هذه وتحويلها إلى أرض يمكن اجراء الحوار فوقها بين القوى المتصارعة، كما يمكن لرؤوس الاموال أن تجد فيها الملجأ الأمين الذي يمكنها من ممارسة نشاطها عبر حدود الدول المتصارعة خلال فترات الحرب ريثما يعود السلام وتستأنف نشاطها المشروع بكل حرية. (المعرب).

١٣ ـ وهذا هو حال الولايات المتحدة خلال مراحل تطورها من العزلة الكاملة إلى التوسع الذي لا حدود له (المعرب).

معقـدة جداً. فهنـاك قبـل كل شيء الاختـلاف بعدد السكان إذ يتراوح بين بلد وآخر. من عدة آلاف نسمة إلى مئات الملايين. . غير ان القوة لا تتوقف، إلا في حدود ضئيلة، علي عدد السكـان، اللهم إلا إذا كانت الفـروق العددية بين دولة واخرى كبيرة جداً[14]، وغالباً ما تكون النوعيات ومستوى التطور هما العاملان الحاسمان.

ولا بد من اخـذ عنصـر كثافة السكان بعين الاعتبار فعليه يتوقف ـ إلى حد ما ـ شروط الحيـاة وامكـانيـات ايجـاد العمـل الضـروري للقـادرين عليـه، وان المصـاعب الجمـة التي تنتج عن كثـافـة السكان، يمكن أن تؤدي إلى الهجرات المتتـاليـة، أو البحث عن التـوسـع الاقليمي باللجـوء إلى العنف احيـاناً. وعلى عكس ذلك فإن الدول ذات الكثافات السكانية الضئيلة قد تنقصها اليد العاملة، وتكـون عرضـة للاستغلال، ومن مصلحتها فتح الباب للهجرات من الخارج وإلا فإنها ستخاطر باستقلالها ويستبعد ان يكون ذلك بالعنف أيضاً.

ولا معنى لكثافة السكان بحد ذاتها إلا على اساس الامكانيات الاقتصادية المتنـاسبـة معهـا، وهـذه تعتـبر العامل الأساسي في تحديد الكثافة: فهولاندا مثلاً استطـاعـت تحمـل كثـافة سكانية بحدود ٢٣٠ نسمة كم² وذلك عن طريق استثمار طاقاتها المادية والبشرية إلى الحد الأقصى؛ وفرنسا تعيش في مستواها الحالي بكثافة سكـانيـة تعادل ٧٥ نسمة/ كم²، وارتضت كندا حتى الآن بكثافة سكانية ضئيلة جداً رغم تساع أرضها ورغم المكننة الزراعية. وعلى عكس ذلك فإننا نلاحظ ان البؤس يزداد سنة بعد سنة في الهند رغم ضآلة كثافة السكان.

كما يمكن أن نلاحظ بأن سياسات الدول ترتبط مباشرة بالأوضاع السكانية الـداخليـة؛ لأن التنظيم الـداخـلي والبحث عن أسـواق لليد العاملة تعتبران من الأهـداف الـدائمـة لهذه السيـاسـة. ومن الجـدير بالذكر ان البحث عن الأسواق

---

١٤ ـ كالفـارق مثلاً بين عدد سكـان الصين الذي يزيد عن ١٠٠٠ مليون نسمة وسكان سورية الذي يبلغ حوالي ١٢ ملايين نسمة. (المعرب).

الخارجية (لليد العاملة أو المنتجات) تؤدي غالباً إلى الحصول على ممرات يمكن الوصول بواسطتها إلى الأراضي التي حبتها الطبيعة بالثروة مع قلة عدد السكان.

ومن النادر أن تبقى كتلة السكان وكثافتهم ثابتتين. لأن التكاثر والهجرة من الخارج يبدلان احياناً العدد والكثافة؛ والولايات المتحدة الأميريكية والاتحاد السوفياتي مثالان بارزان على ذلك. وليس من الضروري التذكير بتأثير ذلك على الوضع السياسي في العالم. وهذه الظاهرة بالذات يمكن أن تحدث بهذا الاتجاه أوذاك (أي زيادة عدد السكان أو تناقصهم) ولكن بسرعة أقل، في البلدان المستقرة «ديموغرافياً»، دون أن تعرف الاسباب الحقيقية لذلك بشكل أكيد.

وللنظام الغذائي والوضع الصحي تأثير كبير على نسبة الولادات أوتكاثر السكان. فالبلدان التي تشكو من قلة الغذاء، وانتشار الأمراض والاوبئة، يتضاءل سكانها وتتناقص قوتها، وسرعان ما يتبدل هذا الوضع إذا تحسنت الأنظمة الغذائية والأوضاع الصحية. أما إذا كان مردالضعف لأسباب عابرة (كالحروب مثلًا) فإن آثاره تكون محددة ويمكن تجاوزها بسرعة بعد زوال هذه الأسباب وفي الحالات التي يكون فيها البؤس والفاقة مزمنان (مستوطنان)، فإن الزيادة في عدد السكان تبلغ ارقاماً مذهلة لا يمكن أن تجاريها سرعة التطور الاقتصادي، ومثل هذه البلدان تصبح بحاجة ماسة للمعونات الخارجية لكي تقيت سكانها في حدود الكفاف[١٥].

هذا بالإضافة إلى أن اختلاف نسبة عدد الولادات يترتب عليه نتيجة هامة: ذلك لأن نسبة عدد الشباب لعدد الكهول تتوقف مباشرة على شروط الحياة القائمة، كما تتوقف عليها ايضاً مستوى فعالية السكان ومردود عملهم، ومصادر الطاقة البشرية اللازمة للدفاع الوطني.

ومن واجب السياسة ان تتنبأ بهذه الظاهرة وان تأخذ بعين الاعتبار، لا

---

١٥ ـ يمكن اعتبار الحالة التي تمر بها كل من الهند وبنغلاديش ومصر إلى حد ما امثلة على البؤس المستوطن.

كعنصر من عناصر مشاكلها فحسب، بل لأنها قد تؤدي إلى تغيير هذه السياسة نفسها أيضاً.

وان تنوع السكان يعود ايضاً إلى تنوع طباعهم وهذه بدورها تتكون خلال عصور طويلة وتبعاً لأسباب متعددة منها: الحياة في مجتمع ما، والتجمع العرقي، والمدن، والتقاليد، واللغة، والايديولوجية، وكلها عوامل تلعب ادوارها في تكون الجماعات والأمم، وقد يطول أثرها أو يقصر تبعاً للظروف: والاسلام والمجموعة الانكلوساكسونية أمثلة واضحة على ذلك.

٢ ـ الموارد الطبيعية وغيرها: تتوقف القيمة الأساسية لبلد ما على غزارة ونوعية ثرواتها. والثروة ترتبط بانتاجيتها والقيمة التجارية لهذا الانتاج. والنفوذ السياسي والقوة تعتمدان على معرفة وحسن استخدام الثروات والسلع تنتج منها.

ويمكن لبلد ما أن يكون غنياً دون ان يصبح قوياً. فكثير من المناطق الافريقية مثلاً تحتوي على ثروات هائلة غير مستثمرة حتى الآن؛ ولهذه المناطق قيمة أكيدة، ولكن ثرواتها ليست إلا وعداً للمستقبل، وهناك دول تملك ثروات مستقلة من قبل دول أجنبية أخرى، وبذلك يمكنها أن تكون غنية دون أن تبلغ القوة السياسية العالمية التي تتناسب مع ثروتها. والبترول اكبر مثال على ذلك[١٦].

وعلى عكس ذلك تماماً فإننا نجد ان بلداً كتركيا، تفتقر للموارد الطبيعية ومع ذلك استطاعت ان تصبح دولة قوية بفضل موقعها الذي استثمرته بمهارة.

---

١٦ ـ لا اعتقد ان هذه القاعدة قطعية أو بمعنى آخر أبدية. ففي الوقت الذي تعي فيه الدولة البترولية قوة ثروتها وتباشر استغلالها لتطوير بلدها وتصنيعه ورفع المستوى الثقافي والعلمي والمادي لشعبها، فإنها تضع نفسها على طريق القوة وبالتالي يمكن أن تبدأ بممارسة نفوذ دولي يتناسب مع ثروتها دون أن يكون ذلك وسيلة للابتزاز او العدوان. (المعرب).

والقوة نفسها يمكن أن تكون وهمية ومشكوك فيها إذا كانت الثروة متوقفة إلى حد كبير على المساعدات الخارجية لاستثمار الموارد[١٧].

والواقع، أنه في الاقتصاد الحديث ما من بلد يملك جميع المواد التي تحتاج إليها صناعته، وإذا لم تقنن الدولة حاجاتها واستهلاكها، فستكون مضطرة لاستيراد بعض المواد أو المنتوجات المصنوعة لتغطية هذه الحاجات. ومن هنا يبرز عاملان أساسيان:

- ضرورة الانتاج من أجل البيع أو التبادل.
- ثم الأهمية الحيوية لوسائل النقل، والتي تتضاعف الحاجة إليها لأن الاقتصاد الداخلي يتوقف عليها.

وتتميز البلدان عن بعضها البعض بالنسبة لتنوع الموارد التي تملكها كل منها. ففرنسا مثلاً حبتها الطبيعة بموارد متنوعة تؤمن اكتفاءها الذاتي تقريباً[١٨]. أما فنزويلا المتخصصة بانتاج البترول فلا تستطيع الاعتماد على نفسها لأنها تحتاج إلى استيراد معظم ما تستهلكه من الخارج. وإذا كان التنوع يعطي للبلد ميزات كبرى في أيام الأزمات لأنه يمكنها من الاكتفاء ذاتياً مع شيء من التقنين، إلا أنه لا يخلو من المساوىء السياسية لأنه يعود الشعب على سهولة العيش ويتضمن قدراً من «الأمن الوهمي» لا يتلاءمان مع روح النضال الضرورية للمنافسة على المستوى العالمي. وإلى هذا السبب يرجع تدني مستوى الانتاجية، والاعباء الضريبية المتزايدة وارتفاع تكاليف الانتاج وبالتالي صعوبة التصدير مما يترتب عليه

---

١٧ ـ او اذا كانت القوة تعتمد أساساً على التموين باعتاد والأسلحة على الدول الأجنبية، فإنها تفقد مقوماتها عندما تتوقف هذه المساعدات والامثلة كثيرة في هذا الميدان خاصة بعد ان اصبحت بعض الاسلحة المتطور جداً محتكرة من دول كبرى معينة. (المعرب).

١٨ ـ لم يعد ذلك صحيحاً بعد تصاعد ازمة الطاقة وارتفاع اسعار البترول، لأنها تستورد حوالي ٥٠٪ من حاجتها الاستهلاكية للطاقة.

العجز في الميزان التجاري والتضخم النقدي والتدهور في الاقتصاد[19].

ويجري تصنيف الموارد الطبيعية عادة في فصيلتين كبيرتين: الأولى وتشمل الزراعة والصيد بكل أشكالها، والثانية وتشمل المصادر المعدنية كالفحم والبترول والمعادن الأخرى المتنوعة، والصناعات المختلفة والتقنية الضرورية للانتقال من مرحلة الاستخارج مروراً بمرحلة التصنيع وحتى مرحلة الاستخدام. ويجب ان يفهم من هذه الأخيرة استعمال الوسائل التي تملكها البلد نفسها، والتي تعبر مصدر ثروة وقوة، وفي الصف الأول من وسائل النقل.

وقد اعتاد الفرنسيون على الا يعتبروا النقل من بين الموارد الوطنية، لأنه في نظرهم ليس سوى «خدمات» ولكنه في الحقيقة مصدر ثروة وقوة، والدليل على ذلك الاساطيل التجارية في بريطانيا والنرويج، ووسائل النقل تؤمن دخلاً كبيراً من الأرباح الصافية التي تجنيها من العالم لخارجي كما أنها مصدر قوة لأن التوازن الاقتصادي العالمي يتوقف على مدى فعالياتها.

وعلى عكس ذلك فإن الاضطرار لاستخدام وسائل النقل الأجنبية تمثل عبئاً ثقيلاً وقد يؤدي أحياناً إلى التبعية.

واخيراً فإن استثمار بعض الموارد الطبيعية يتوقف أساساً على وسائل النقل: وهكذا نجد اليوم أن اعظم الموارد الطبيعية اهمية وهو البترول يشكل ٥٠٪ من

---

١٩ ـ هناك اسباب اخرى لارتفاع تكاليف الانتاج، وصعوبة التصدير ومن بينها ارتفاع الاجور في البلدان المتطورة والمبالغة في تقدير الارباح على الأجهزة والآلات المصنوعة خاصة إذا قورنت باسعار المواد الأولية التي تنتجها البلدان النامية، وان مقارنة بسيطة بين اسعار هذه المواد بما فيها البترول ـ وبين اسعار الآلات تظهر الغبن الذي يلحق بإنسان العالم الثالث، من أجل تأمين مستوى حياة افضل للإنسان في البلدان الصناعية المتطورة. ولعل هذه النقطة من بين ابرز النقاط التي يجري الحوار عليها بين ما يسمى بالشمال والجنوب (او البلدان المتطورة والبلدان النامية) وما لم يرفع هذا الغبن فسيبقى السلام الدولي عرضة للخطر وعدم الاستقرار.

(المعرب)

وزن المواد المنقول في العالم، وذلك لأن حقول انتاجه تقع غالباً في أماكن بعيدة عن أماكن استهلاكه.

ولا حاجة للإلحاح على المشاكل السياسية التي تطرحها الموارد الطبيعية[٢٠]، إلا أنه من المفيد التذكير بأهمية المحافظة على هذه الموارد، مما يستلزم سياسة خاصة ومتمادية زمنياً. ففي المجال الزراعي لا بد من وضع سياسة لحماية التربة من الانجراف والتآكل أو زيادة نسبة الملوحة مثلاً. ولا بد من وجود سياسة طويلة المدى لصيانة حقول البترول أو مناجم المعادن الثمينة. وتجدر الاشارة إلى أن هذه المشاكل ذات صفة دائمة في زمن الحرب وفي زمن السلم وهي بالغة الأهمية بالنسبة لرجل الاقتصاد وللقائد العسكري. ومن هنا تظهر الصلة المباشرة بين الجغرافيا ـ السياسية والجغرافيا ـ الستراتيجية.

وأخيراً لا بد من الإشارة للعلاقات بين المسائل التي تطرحها الموارد والمسائل التي يطرحها السكان.

فالموارد هي في الحقيقة من صنع الإنسان، والطبيعة لا تقدم سوى الامكانيات، ولهذا فإن قيمة الموارد الطبيعية تتوقف على نوعية الشعب وحكومته.

ومن جهة أخرى ليس هناك مورد أو مادة إلا من أجل سد حاجة معينة، والسياسة يمكن أن تتجه إلى زيادة أو تقليص هذه الحاجة. وزيادة الحاجات من أجل زيادة الموارد هو مبدأ دائم في سياسة الدول الغربية، بل هو نوع من اليقين في الولايات المتحدة الأميركية. وعلى عكس ذلك فإن تقليص الحاجات إلى مستوى حدود امكانيات الموارد الوطنية هي المبدأ الذي تسير عليه السياسة السوفياتية، وتركز الجهد مباشرة على نمو الموارد ويجدد استخدامها من قبل الدولة.

---

٢٠ ـ لعل ابرز مثال على هذه المشاكل تلك الأزمة العالمية الحادة التي نشأت اثر دخول مفرزة من قوات الدول الكاتنجي إلى مدينة كولوزي الامر الذي ادى إلى تدخل المظليين الفرنسية والبلجيكيين، تعززها وسائل النقل الاميركية، ذلك لأن هذه الغارة تهدي المناجم الغنية بالمعادن الثمينة، التي تغص بها (كاتنجا).

٣ ـ الطاقة واشكالها الجديدة: **يزداد الحديث** عن الطاقة يوما بعد يوم، منذ استخدام البخار الكهرباء. وتنتج الطاقة من بعض المواد الخام وخاصة منها الفحم والبترول ويتطلب ذلك تحويلات متعددة. كما ان استخدام الطاقة يحتاج إلى منشآت ضخمة ووسائل نقل هائلة. وقد امكن تحقيق توازن تدريجي في سير هذه النشاطات ونموها المتصاعد. ومن بين النتائج التي تترتب على قطع هذا التوازن، الأزمات الخطيرة والحروب الدامية؛ ولهذا فإن ظهور الطاقة النووية يمكن أن يكون لها نفس التأثير على الاقتصاد، ولحسن الحظ أن هذا التأثير لا يزال حتى الآن أقل شدة وبالتالي يمكن السيطرة عليه. وسيكون بالامكان تكييف الاقتصاد بالنسبة لهذا العامل الجديد العظيم القوة، خاصة إذا كانت الدول القليلة التي تنتج هذه الطاقة، من الحكمة بحيث لا تستأثر بها لنفسها.

والواقع، إذا كان انتاج الطاقة النووية يتطلب مزيداً من الجهد والمال أكثر مما يتطلبه انتاج الطاقة من البترول، إلا ان نقلها (أي المادة الخام) والمحافظة عليها أقل صعوبة.

ويصعب الآن التنبؤ بالتغييرات التي ستترتب على استخدام الطاقة النووية من قبل الدول التي كانت في الماضي مفتقرة للطاقة اللازمة، خاصة إذا اصبحت تقنية الانتاج سهلة وفي متناول الجميع[٢١].

وعلى الرغم من أن الوقت لم يحن بعد لنفاذ الاحتياطي من البترول والفحم، إلا أن زيادة الاستهلاك تستوجب تخفيض انتاج بعض الحقول لكيلا تستنفذ احتياطها بسرعة، واصبح من الضروري جداً البحث عن مصادر أخرى للطاقة لأنه لا يجوز الاعتماد كلياً على الطاقة النووية، بل يجب محاولة استنباط الطاقة من الشمس ومياه البحار وكل مصدر يمكن ان توفره الطبيعة.

---

٢١ ـ ان كارثة تشرنوبيل في الاتحاد السوفياتي، والاعطال التي طرأت على بعض المفاعلات النووية في انكلترا والولايات المتحدة وفرنسا، ولت على صعوبة التحكم المطلق بهذه الطاقة المتوحشة، الامر الذي ادى الى قيام الكثير من المنظمات لمقاومة انتشارها حفاظاً على سلامة البيئة من التلوث. وفي اعتقادنا أن ذلك سيؤثر على اتساع استخدام الطاقة النووية (المعرب).

وأخيراً، فإن الأحداث السياسية، والاكتشافات العلمية والتكنولوجيا، وتطور الشعوب وتمتعها بحقها في تقرير مصائرها، قد يؤدي الى تعديل جذري في شكل العالم، وأن احداً لا يستطيع التنبؤ بالمكان الذي ستحتله افريقيا مثلاً؟ والنتائج السياسية التي ستترتب على ذلك.

٤ ـ البنيات الاجتماعية: ان عوامل الجغرافيا ـ السياسية الرئيسية ـ الثابتة منها والمتغيرة ـ التي اتينا على ذكرها، تتضمن بنيات اجتماعية، وبنيات سياسية تحدد اطار العمل السياسي الفعلي بشكل ملموس ونافع. وتعمل السياسة دون هوادة على توجيهها، وتعديلها وضمان استقلالها، أوعلى العكس، ايجاد التحالفات والاتفاقيات التي تسمح بالاشتراك في مجموعات أوسع.

وكل بنية، حتى ولو كانت مستوحاة من بنية اخرى، تحصل وتحتفظ بصفات خاصة بها وتضفي عليها شخصيتها المميزة: وكل بنية تقام بالفعل لبلوغ هدف معين وتتكيف بموجبه؛ والشيوعية نفسها لا تستطيع الافلات من هذا القانون، فبالرغم من اعتقادها أنها أزالت كل أثر للخصائص القومية عند الشعوب التي تدور في فلكها، فإننا نجد ان الشيوعية في يوغوسلافيا والصين سلكتا طرقاً مختلفة عن طريق الشيوعية في الاتحاد السوفياتي واحتفظتا بالطابع القومي.

والبنيات السياسية المتقاربة تحمل في طياتها أسباباً للتفاهم ولاقامة أنواع متعددة من الروابط. ويبدو ذلك على شكل سياسات متشابهة وأنظمة متماثلة.

فالديمقراطيات على اختلاف أنواعها، مثلاً، تشتمل على نقاط مشتركة تتضح تماماً في الأنظمة الملكية الدستورية، والجمهوريات البرلمانية. وهذه البنيات اكثر استقراراً، وأكثر قدرة على التكيف طبقاً للميول والمعتقدات والتطلعات التي يؤمن بها شعب ما. وهي قابلة للزوال السريع إذا كانت مفروضة من الأعلى أو من الخارج، كما أن العلاقات التي اقامتها مثل هذه الأنظمة تبقى معرضة للزوال.

وتقوم البنى الاجتماعية على النظام السياسي والتنظيم الاقتصادي، ولكنها تتأثر بالعادات والتاريخ والمعتقدات لكل شعب. وهي تحدد بشكل خاص أساليب

الحياة، التي قد تختلف نتيجة للتكيف الضروري الذي تقتضيه الشروط الجغرافية الطبيعية منها والبشرية. كما تساعد البنى الاجتماعية على التقارب واقامة التحالفات بين الدول، وتأثيرها في هذه الميادين اقوى من تأثير البنى السياسية كما لاحظنا ذلك عند ذكر المجتمع الانكلو- ساكسوني.

وان مثل هذه التحالفات (او القرابة) يتخلق على المدى البعيد، مُثلاً واهدافاً مشتركة، وتسعى لتحقيقها أو الدفاع عنها مجتمعة عند الاقتضاء.

وفي عالم اليوم، حيث نلاحظ أن الاطار القومي أصبح أضيق من أن يؤمن السعادة اللازمة للشعوب، فإن الهدف الدائم للسياسة الخارجية لكل دولة، هو تأمين وصيانة العلاقات الضرورية التي تضمن المزيد من السعادة لشعبها.

٣ - السياسة والجغرافيا - السياسية

ان النظرة العاجلة التي القيناها على عوامل الجغرافيا - السياسية، تكفي، رغم سطحيتها، للدلالة على كيفية تحديدها للمظهر السياسي للعالم. ولكن الدراسة الجدية والمعمقة لهذه المشاكل تساعد على المعرفة المسبقة لمنحى ونتائج التطورات التي ترتسم في الأفق أو التي ستظن في مستقبل قريب. كما تكشف ايضاً عن سلطة الانسان العجيبة على الطبيعة التي يقيم عليها ويستثمرها. وذلك لأن الإنسان استطاع منذ زمن بعيد أن يتكيف مع بيئاته الطبيعية، ومن ثم اخذ يكيفها تدريجياً طبقاً لحاجاته.

غير أن ذلك لايعني أن عوامل الجغرافيا - السياسية وتبدلاتها تسير طبقاً للتوقعات والتنبؤات المعللة جداً: فالاكتشاف المفاجيء لحقل غني بالبترول، أو التوسع غير المتوقع لتقنية ما مثلاً، قد يؤدي إلى تغييرات ويخلق مضاعفات في ميادين مختلفة جداً.

ولحسن الحظ أن هذا «العامل المفاجيء» ينـدر حدوثه ، ولذلك يبقى في مقدور السياسة ، الحكيمة الواعية ، أن تباشر عملها بشكل علمي ومعقول آخذة بعين الاعتبار ما لا يمكن تفاديه، وما يمكن أن تؤثر عليه وتضعه في خدمة أهدافها .

الفصل الثالث

الطابع الجغرافي ـ السياسي للعالم الحالي

«العدالة في القيادة والحذر في التنفيذ» .

● سان توما

يشهد العالم اليوم انقلاباً هائلاً يغير وجه العالم بسرعة واتساع وعمق لم يسبق لهما مثيل، ولم تعرفه اعظم احداث التاريخ البشري اطلاقاً. ولا يتعلق الأمر بالتحول البطيء احدى القارات اثر غزو او احتلال أو اكتشاف! ولكنه تبدل شامل لا يفضل أية نقطة من الكرة الأرضية، وهو تطور سريع لا تكاد تدركه الابصار احياناً، ولهذا لا بد لنا من الاشارة إلى ملامحه الأساسية لكي نوضح «الطابع الجغرافي السياسي» للعالم الحالي.

لقد كان التقدم، العلمي والتقني، الخاطف، السبب الأساسي لهذا التحول لأنه اوجد المعطيات الأولية والمميزات الرئيسية للعالم الحديث.

فالتطور العظيم للصناعة، وسيطرة الانسان على الطبيعة والنفوذ المتزايد للايديولوجيات الجماعية، وخاصة منها الماركسية التي تقترح الحلول البديلة للمجتمع الاستهلاكي، والتفجر السكاني في بعض البلدان، واتساع الهوة بين البلدان المتطورة والبلدان النامية، واخيراً لا آخراً الاتصالات الآنية السهلة بين

جميع نقاط المعمورة، وما يترتب عليها من روابط مادية ومعنوية، كل ذلك يضفي على هذه الخصائص صفة الثورة العميقة التي تزيد في آثارها. وبالتالي فإنها تعطي الجغرافيا ـ السياسية للعالم الحالي صورتها الحقيقية وملامحها الأكثر بروزاً. ونذكر فيما يلي اهم هذه الملامح:

ـ تفوق «القوى الكبرى» ورغبتها بالهيمنة، الاقتصادية على الأقل، هذه الرغبة التي تكاد تتحول إلى حاجة عادية بالنسبة اليها.

ـ تطور شعوب البلدان المستقلة حديثاً، بعد ان كانت مستعمرة ومتخلفة لزمن طويل ويتم هذا التطور بسرعة في الميدان السياسي والعقائدي، ولكنه يسير ببطء في الميادين الاقتصادية والاجتماعية بسبب الحاجة للمساعدات الخارجية. ولهذا فإن هذه الدول الحديثة تبقى عرضة للإضطرابات وعدم الاستقرار.

ـ عدم ثبات الظروف العامة، وبالتالي عدم استقرار التوازن السياسي والاقتصادي على الصعيدين الاقليمي العالمي.

ـ الصعوبة في حصر المشاكل داخل اطارها الاقليمي أو حصر النزاعات المختلفة ضمن حدود الخصومات الأولية.

ولهذه الأسباب يمكن ان نتساءل عما إذا كانت العوامل الأساسية للجغرافيا ـ السياسية، التي اتينا على ذكرها، تحتفظ ببعض الأهمية في هذه الشروط؟

والصورة التي سنحاول رسمها بخطوطها العريضة ستساعدنا بالاجابة على هذا السؤال.

١ ـ توزيع الدول في العالم

بلغ عدد الدول المستقلة حتى عام ١٩٦٨ حوالي ١٣٠ دولة (منها ١٢٣ دولة عضو في هيئة الأمم المتحدة). (وهي اليوم حوالي ١٦٩ دولة منها ١٥٧ دولة مستقلة).

ويمكن تصنيف هذه الدول باشكال مختلفة طبقاً للمعايير المستخدمة. وقد جرت العادة في الماضي على اعتبار المساحة وعد السكان قاعدة لهذا التصنيف، إلا أن ذلك لم يعد العنصر الحاسم في تصنيف الدول: فسويسرا البلد الصغير مثلاً يلعب دوراً عالمياً فعالاً لا يتناسب مع مساحة وعدد سكانه. ويبدو أنه من الأسلم، في هذه الأيام، تصنيف الدول حسب «وزنها» الفعلي في المجموعة الدولية، أي حسب قوتها العسكرية والاقتصادية التي تحدد قوتها السياسية.

وتقسيم الدول إلى مجموعات، يتم على اساس الايديولوجيات والمصالح المشتركة والمواقف التي تتخذها من قضايا السلام وتوازن القوى في العالم.

وقد اختلف هذا التصنيف اختلافاً عظيم الدلالة منذ حوالي نصف قرن.

وندرج فيما يلي نموذجاً لهذا التصنيف موضوعاً على اساس أهمية الدول وقوتها منذ بداية الحرب العالمية الأولى وحتى نهاية الستينات من هذا القرن:

- ١٩١٤: فرنسا، انكلترا، المانيا، روسيا، الولايات المتحدة الأميركية، اليابان.
- ١٩٢٠: انكلترا، فرنسا، الولايات المتحدة الأميركية، اليابان، ايطاليا.
- ١٩٣٩: المانيا، انكلترا، الولايات المتحدة الأميركية، فرنسا، اليابان، الاتحاد السوفياتي، ايطاليا.
- ١٩٥٠: الولايات المتحدة الاميركية، الاتحاد السوفياتي، انكلترا، فرنسا، ايطاليا، المانيا الاتحادية، الصين.
- ١٩٦٨: الولايات المتحدة الاميركية، الاتحاد السوفياتي، المانيا الاتحادية، اليابان، الصين الشعبية، انكلترا، فرنسا، ايطاليا.

ومن الجدير بالذكر أن تصنيف الصين لا يخلو من الصعوبة - لأنها في طريقها لتصبح «العملاق الثالث» بعد الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي فإن «وزنها» الحالي من حجمها (الطبيعي والبشري) ومن قوتها العسكرية، اكثر ما يتكون من تطورها الاقتصادي الذي لا يزال بطيئاً.

ويعتمد التبدل في هذا التصنيف، على عنصر جديد فالحرب العالمية الثانية، قلبت موازين القوى في العالم، كما أن القفزات الهائلة التي حققتها الصناعة والتكنولوجيا، جعلت «الدولتان العملاقتان» تتبوآن مكانة الصدارة منذ نهاية الحرب حتى الآن، بسبب ضخامة مواردهما وتعدد وسائلهما الامر الذي اصبح ضرورياً للوصول إلى «القوة الحقيقية».

وكان من نتيجة هذه الحرب أيضاً انهيار المانيا واليابان ولكنهما سرعان ما استعادتا قوتهما الاقتصادية والتكنولوجية، واخذتا تتطوران بخطا جبارة ساعدتهما على اللحاق، بل وتجاوز الدول المنتصرة، باستثناء القوتين العظميين (امريكا والاتحاد السوفياتي)، ولكن هاتين الدولتين لم تعوضا قوتهما العسكرية بسبب معاهدات الصلح التي فرضت عليهما بعد الحرب[1].

وادى انحسار الاستعمار القديم إلى تصفية الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية، وتحول هاتين الدولتين إلى «دول متوسطة». وفتح المجال لظهور مجموعة البلدان المستقلة حديثاً (او ما يطلق عليه اسم العالم الثالث).

ولا ريب أن هذه التغييرات كان لا بد لها وان تحدث تدريجياً، غير ان الحرب العالمية الثانية ومضاعفاتها أعطت لهذا التحول طابعاً ثورياً.

ومع ذلك يمكن القول ان تراجع اوربا الغربية لصالح العملاقين، وتخلي دول هذه المنطقة عن الزعامة، بعد أن كانت لعدة قرون خلت مركزاً للإشعاع

---

١ ـ في الميدان العسكري اصبحت المانيا الاتحادية عضواً كاملاً في حلف الأطلسي منذ عام ١٩٥٣، وسمح لها باعادة تنظيم وتسليح جيشها واصبحت الآن في مقدمة بلدان اوربا الغربية بالأسلحة الكلاسيكية.

أما اليابان فقد هيأت لها الحرب الكورية اولاً، ثم انسحاب الولايات المتحدة الامريكية من فيتنام الجنوبية، وكمبوديا عام ١٩٧٥، الظروف الملائمة لاعادة تنظيم وتسليح قواتها المسلحة. وهي تستعد الآن لاملاء الفراغ في منطقة جنوب شرقي آسيا بالتعاون الوثيق مع القوات الامريكية الجوية والبحرية.

(المعرب)

والقـوة في العـالم ـ سيبقى نسبياً إذا اخـذنـا بعين الاعتبـار الوسائل والتكنولوجيا الحـديثـة ، علماً بأن هذه الـوسائل أيضاً يجب ان تتناسب طرداً مع الأبعاد الجديدة للمشاكل العالمية المتنوعة، والمستلزمات البحرية والجوية المتزايدة.

ولهذه الأسباب كلها فإن توزيع الدول على القارات يُعتبر ذا فائدة كبيرة في هذه الدراسة.

واللائحة التالية تعتمد على الأرقام والاحصائيات المنشورة عام ١٩٦٧ :

القارات	المساحة بألف كم²	السكان بالملايين	عدد الدول
اوربا والاتحاد السوفياتي	١٠	٦٢٠	٢٦
امريكيا الشمالية	٢١	٢٦٥	٣
امريكا الوسطى	٢,٧	٥٦	١٢
امريكا الجنوبية	١٨	١٢٢	١١
آسيا	٤٥	١٨٠٠	٢٩
افريقيا	٣٠	٣١٠	٤٢
استراليا	١٠	١٥	٢

وهكـذا تلاحـظ أن اوربـا الغـربيـة قليلة المسـاحـة وكثيفة السكان نسبياً، ويمكن اعتبارها «شبه جزيرة» بالنسلة لـ «اوراسيا»، كما تشكل عقدة طرق هامة. وقـد بقيت هذه القـارة مقسمـة بالاستنـاد إلى نظـام سيـاسي قديم وقـوي، افرز القوميات المعروفة الآن، واستطاعت هذه القارة خلال عدة قرون أن تنشر الروح القـوميـة، وتنظيم العبقـريـة العلميـة والمنجـزات التقنية، في كل مكان من الكرة

الأرضيـة، وبـذلـك اغنت العـالم الحـديث بحضـارتهـا. وان نظرة فاحصة للكرة الأرضية تظهر لنا حقيقتين اساسيتين:

ـ الحقيقـة الأولى: تتعلق بالمنـاطق القـاريـة الشـاسعـة التي تحتلهـا بعض البلدان مثل: الاتحاد السوفياتي ـ والصين، والهند، والولايات المتحدة الأميريكية وكندا، والبرازيل والأرجنتين.

ـ والحقيقة الثانية: تتعلق بعقد المواصلات للطرق البرية والبحرية الكبرى والمناطق الساحلية التي تشغلها مجموعة من الدول المتوسطة والصغيرة، وهي على العموم كثيفة السكان، وغالباً ما تكون نشيطة او مضطربة كما هي الحال في اوربا الغـربيـة، والشـرق الأوسط وامريكا الوسطى وجزر الأنتيل، وهي كذلك بالنسبة لسلسلة الجزر الممتدة على طول الساحل الجنوبي للقارة الآسيوية من البحر الأحمر حتى اليابان.

ولهذه الأسباب ذاتها لم تكن الكتلة الافريقية تحتوي، حتى عهد قريب، إلا العـدد القليـل من الـدول المستقلة الـواقعـة على محيطها وذلك لأن العلاقات مع القارات الأخرى كانت ممكنة منذ القدم.

وكـان من نتيجـة التحـرر من الاستعـمار قيـام عدد كبير من الدول المستقلة الضعيفـة في القـارة الأفريقية: واصبحت هذه القارة ممثلة بما يزيد عن ٤٢ دولة في هيئـة الأمم المتحـدة، أي ما يعـادل ثلث مجمـوع أعضاء هذه المنظمة تقريباً، مع العلم بأن عدد سكانها لا يتجاوز نسبة ١٠٪ من سكان العالم.

وان مستقبل هذه الدول ستحدده، ولا ريب جزئياً على الأقل، العلاقات المباشرة وغير المباشرة بقارات آسيا واوربا وامريكا عبر المحيطين الهندي والأطلسي.

أمـا القسم الشـمالي الشـرقي من القـارة الأفـريقيـة فهـو اقرب إلى الشرق الأوسط منه إلى افريقيا، لأن الموقع الجغرافي كان ولا يزال عاملاً حاسماً في مصير بلدان هذه المنطقة التي تشكل نقطة اتصال ذات أهمية عالمية.

وأخـيراً فإن الصحـراء الكـبرى تجعـل من بلدان شمال غرب افريقيا (اوما

يسمى بالمغرب العربي) «جزيرة مغربية» يتطلع سكانها دائماً إلى المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط، ومن هذه الناحية تشبه إلى حد كبير اسبانيا.

٢ ـ من الامبراطوريات الاستعمارية إلى العالم الثالث

سوف لن يشمل هذا العنوان سوى البلدان الواقعة ضمن اطار ما يسمى «بالعالم الحر» لأنه لم يلاحظ -حتى الآن أي نوع من التطوز المماثل يرتسم داخل الكتلة الشيوعية، رغم ان الاتحاد السوفياتي والصين شكلتا من الدول التابعة لكل منها «امبراطوريات استعمارية حقيقية»[٢] تسير بارادة سياسية موحدة ويحدد لكل دولة فيها الدور والمكان الذي يجب أن تشغله.

وإذا كان من الثابت فعلاً ان قوانين الجغرافيا ـ السياسية تحكمت بمصير العالم اجمع فاحدثت فيه كل التيارات التي ادت للتفجر والتجزئة او التجمع، فإن التاريخ الحديث أثبت حتى الآن الاتحاد السوفياتي والصين (كل في منطقة نفوذه) يدمران كل محاولة بهذا الاتجاه وبالقوة عند اللزوم.

كانت المستعمرات ترتبط فيما بينها ضمن إطار الامبراطوريات الاستعمارية، على شكل مجموعات غير واضحة الحدود، واحياناً ترتسم حدود بعضها بشكل مصطنع، بموجب اتفاقيات[٣] مع القوى الاستعمارية. وغالباً ما كان هذا الوضع في صالح الشعوب المستعمرة بسبب المستوى البدائي الذي كانت

---

٢ ـ هذه الأراء هي للمؤلف وهي تبرز النظرة التي ينظر بها المسئولون في الغرب لدول الديمقراطيات الشعبية، أو الدول التي اختارت الأنظمة الشيوعية وارتبطت مع الاتحاد السوفياتي أو الصين بمعاهدات عسكرية واقتصادية، والا يفهم من تعريب الكتاب اننا نشاطر المؤلف هذه الأراء، وان الأمانة تقتضي منا تعريبها حرفياً.

(المعرب)

٣ ـ يسمى هذا النوع من الاتفاقيات، بالاتفاقيات غير المتكافئة أو غير النزيهة.

وأبرز الأمثلة عليها تلك الحدود الوهمية التي رسمها الاستعمار البريطاني بين امارات ومحميات (الخليج العربي).

عليه . اما مساوىء هذا التنظيم فتنتج عن الرغبة احيانا بتجميع خليط من شعوب مختلفة، بل ومتعادية، بهدف تحقيق نوع من التكامل الطبيعي أو الاقتصادي أو بسبب الظروف الجغرافية ـ السياسية لتدعيم الامكانيات التجارية ورفع مستوى الانتاج وتنظيم الدفاع المشترك. ويمكن أن نلاحظ فيما بعد، كيف حدثت الانتفاضات مباشرة بعد التحرر من الاستعمار.

وقد شجع الصراع بين الكتل العسكرية والاقتصادية هذه الانتفاضات، خاصة وان مشاعر الاستقلال لم تصل بعد إلى المستوى الذي يطغى الخصومات بين القوميات، والاحقاد العرقية الطائفية والقبلية القديمة.

ان تنظيم الحياة الحديثة الشديدة التعقيد والتفوق المطلق للقوى الصناعية المتطورة، أديا إلى خلق نوع من الامبراطوريات الاقتصادية المستترة حلت محل التقسيمات القديمة للعالم. وهي لا تشبه «الممتلكات» التي كانت معروفة في الماضي، ولكنها تقوم على الهيمنة المالية والتجارية، واحياناً السياسية والعسكرية وهذه الامبراطوريات لا تمثل بألوان مختلفة على الخرائط الدولية ولكنها تقرؤ من خلال الاحصائيات. المتنوعة.

وان الصراع بأشكاله المختلفة للحصول على مثل هذه الهيمنة، لا يقل شأناً وحده عن المجابهات الاستعمارية التي عرفت عبر التاريخ وان كان يختلف عنها بوسائله؛ والتشابه بين هذا الاستعمار الحديث وبين الاستعمار القديم يمتد إلى ميادين اخرى؛ فالدول المسيطرة تتحمل اعباء ومسئوليات في مستوى امبراطورياتها كما كان الأمر في الماضي.

والواقع انه في كلتا الحالتين تحتاج البلدان «الخاضعة للنفوذ» إلى مساعدة البلدان «المسيطرة» لكي تحيا وتتطور لأنها لا تستطيع تحقيق ذلك بوسائلها الذاتية، وهذه المساعدات قد تكون «نزيهة» ولكنها في أغلب الأحيان «مغرضة».

وهكذا نرى ان نضال الدول الحديثة في سبيل العيش الكريم محوطاً بالمصاعب في عالم لا يعرف الرحمة. يضاف إلى ذلك تلك الشروط والالتزامات التي تترتب عليها مقابل المساعدات الخارجية (بصرف النظر عن النظام السياسي

والايـديـولـوجي الذي اختارته لنفسها)؛ ولهذا فإن هذه الدول تخضع لتأثير الشروط الجغرافية ـ السياسية والجغرافية ـ الستراتيجية أكثر مما تخضع لها الدول القوية.

ومن هنـا تأتي المجمـوعـات التي تحدثنا عنها سابقاً والتي تمليها عوامل ثلاثة حاسمة هي:

أولاً: الشـروط الطبيعيـة، ثانيـاً: الاختيار السياسي الذي يتأثر بالصداقة والمصـير المشـترك، أو التبشـير العقـائدي. ثالثاً وأخيراً: شبكة المصالح والروابط اللغوية والثقافية التي قد تكون أحياناً الارث النبيل لامبراطورية ما وتخلق نوعاً من العمومة بين الشعوب.

وهكـذا نجـد ان في القارة الافريقية وحدها حوالي اثنا عشر منظمة، تشكل فيما بينها مجموعات ذات صلة بالغرب أو الشرق، لأنها لن تستطيع قبل زمن طويل تكـوين عنصـر متجانس قادر على فرض نفوذه على التوازن الدولي بالاعتماد على قوته الذاتية.

وهذا لا يعني ان الاتحاد بين الدول أمر غير مرغوب فيه أو أنه عديم الفائدة.

وطبيعي أن يقـودنـا هذا البحث إلى التسـاءل عما يمثله «العـالم الثالث» في المجتمع الدولي، وأية قيمة لوحدته ضمن هذه الشروط؟

من المعروف ان اصطلاح «العالم الثالث» اعطي للتعبير عن الدول النامية في المؤتمـر الافـريقي ـ الاسيـوي الـذي عقـد في باندونغ عام ١٩٥٥. وكان ذلك كنتيجة للوعي المشترك للدول التي ساهمت في هذا المؤتمر.

ومن المعروف أيضاً أن مؤتمر ثانياً لهذه الدول كان من المفروض ان يعقد في الجـزائـر بنفس ذلك العام ليجدد مؤتمر باندونغ ويوسع أهدافه. ولكن هذا المؤتمر انفك حتى قبل انعقاده، لكثرة الخلافات بين المؤتمرين[٤].

---

٤ ـ وقـد صادف موعـد انعقـاد المؤتمـر في العـاصمـة الجـزائرية قيام الحركة التي تزعمها الرئيس هواري بومدين ضد السيد احمد بن بللا.

ونحن لا ندعي هنا حصر مبررات الاحداث التي وقعت في الفترة الواقعة بين موعد هذين المؤتمرين، ولكنه ثبت أن من بينها أسباب جغرافية ـ سياسية، لذا فسنحاول ان نفرد لها مكاناً في هذه الدراسة.

ان المواقع التي تحتلها بلدان العالم الثالث، فوق سطح الكرة الأرضية تستحق كل الاهتمام، لأنها توضح بشكل جيد، الخصائص المشتركة، والتناقضات، بين الدول التي يتكون منها هذا العالم.

لقد سبق وأشرنا إلى التنوع الداخلي في القارة الافريقية رغم كتلتها الطبيعية المتماسكة، ونشير هنا إلى الطرف الجنوبي لـ «اوراسيا» بأشباه جزره وحزام الجزر الذي يحيط به، كما نشير إلى البلدان الاستوائية في أمريكا الوسطى وجزر الأنتيل، ونلاحظ ان لهذه المناطق جميعها صفات مشتركة: كالمناخ الحار ـ الذي غالباً ما يكون مدارياً أو استوائياً، والمنتجات المتشابهة، القليلة التنوع في كل بلد على حدة، والتي قد تكون احياناً ذات مردود ضعيف، وإحياناً اخرى شديدة الغزارة، وهذا يعني انها غير متوازنة بالنسبة للاقتصاد الحديث. وهناك بعض البلدان التي تحتوي على ثروات معدنية وبترولية هائلة يصعب استثمارها محلياً بسبب فقدان التكامل الاقليمي (وهذا يعني ان النشاط الصناعي ضعيف في جميع هذه البلدان وقد يصبح ممكناً بسبب التطور)؛ وفي هذه البلدان اعراق وحضارات مختلفة تماماً، وغالباً ما يكون سكانها متخلفين من النواحي العلمية والتقنية والثقافية.

إن هذه الصفات المشتركة لا تقلل اطلاقاً من الاختلافات الكبيرة والتفاوت بالامكانيات والصفات الجوهرية لكل بلد منها، والمواقف الخاصة والأدوار المتنوعة التي تتخذها في الميدان العالمي.

ومع ذلك فإن جميع بلدان العالم الثالث تشترك في صفة أساسية ألا وهي: «التخلف الاقتصادي والاجتماعي».

ومن الجدير بالذكر أن هذا التخلف لم يتوقف عند حد بسبب التقدم بل على العكس تماماً لأن الهوة تزداد يوماً بعد يوم بين البلدان النامية والبلدان

المتطورة، ويزيد في خطورته ان سكان هذه البلدان اخذوا يعونه ويقدرونه حق قدره بعد حصولهم على الاستقلال السياسي!

والتخلف هو المعوق الخطير في عالم اليوم والغد.

لقد استغلت الايديولوجيات وعي الشعوب في البلدان النامية، فأثارت عواطفهم إلى درجة الهيجان والثورة على الاستعمار. وذلك باقناع هذه الشعوب أن تخلفهم والبؤس الذي يعانونه انما كان بسبب استغلال القوى الاستعمارية التي فرضته عن سابق اصرار وتصميم.

وإذا لم يكن من حقنا هنا ادانة هذه العواطف إلا أن الموضوعية تقتضي منا التنويه بان «الكراهية للاستعمار» كانت القاسم المشترك والمناخ الذي قامت عليه الوحدة الأولية للعالم الثالث، لذلك كانت الوحدة «ضد حالة تعود للماضي» و«ليست إلا في حدود ضئيلة جداً، في سبيل شيء جديد ملموس ومحدد بالنسبة للمستقبل، اللهم إلا ما يتعلق بالاختيار السياسي والايديولوجي».

وهذا يعني أن «الوحدة المعنوية للعالم الثالث، كان ينقصها منذ نشأتها ارادة حقيقية من الأفكار البناءة التي تشكل الملاط الوحيد لوحدة متينة تصمد على المدى الطويل. وإذا علمنا أن الكثير من العوامل التاريخية والاقتصادية بالاضافة إلى عدد آخر من شروط الجغرافيا ـ السياسية قد اهملت، يمكن أن نفهم جيداً النزاعات الداخلية التي ظهرت فعلاً، او التي في طريقها للظهور في قلب العالم الثالث والمجموعات الاقليمية الجديدة المنتمية له.

ولهذه الأسباب نجد ان معظم المنظمات والمجموعات الاقليمية في العالم الثالث تعاني من أزمات حادة داخلية، وعليها أن تثبت جدارتها وقدرتها على تخطي هذه العقبات على الرغم من أن الشروط والعوامل المختلفة التي اشرنا اليها لا تعزز هذه التجمعات ولا تقيم وزناً كبيراً للاختيارات السياسية والايديولوجية. ويمكن القول أن طبيعة الأشياء ستفرض نفوذها تدريجياً فتعدل وتضعف ـ على الأقل ـ هذه الاختيارات المذهبية. وسنأتي فيما بعد على ذكر بعض الحالات التي وقعت فعلاً أو الحالات الممكنة والمواقف المتبدلة التي لوحظت حتى الآن.

فقــد لوحـظ في السنـوات الأخـيرة بعض الانعطـافـات التي كانت تحدث مبـاشـرة احيـانـاً، وتـرتـدي احيـانـاً اخـرى طابعـاً مأساوياً، كما حصل في الهند وانـدونيسيـا وفي عدد من البلدان الافريقية التي تخلت عن المساعدات الشيوعية. بعد ان تبين لها ان هذه المساعدات تثير الكثير من المشاكل ولا تتلاءم مع حاجاتها الحقيقية. لذلك فضلت العدول عنها والعودة إلى العلاقات الطبيعية (كذا) المجربة(*).

وإذا كانت «كـوبـا» قد استطـاعـت الصمود والاستمرار بالعيش حتى الآن معتمـدة على الاتحـاد السـوفيـاتي، ومنفصلة تماماً عن العالم الأميركي الذي هو عالمهـا وكـل شيء يربطها بها، فإن هذه الارادة السياسية مناقضة تماماً للجغرافيا ـ السيـاسيـة، على الاصعـدة الطبيعية والاقتصادية والبشرية، ولا يمكن أن تستمر لزمن طويل، وهذا هو شأن الزواج غير الشرعي بين «البانيا» والصين. .(٦).

واخـيراً، فإن احـداً لا يستطيـع التنبؤ اليهم، بالأسس التي سيقـوم عليها

* ـ مما لا شك فيه أن هناك الكثير من الأمثلة التي يمكن الاستشهاد بها في هذا المجال، غير ان ذلـك في اعتقـادنـا لا يشكـل برهاناً كافياً على عدم جدوى التعاون بين البلدان النامية والبلدان الاشتراكية. والعكس صحيح، وما لم يحدث تبدل جوهري في العلاقات بين بلدان العالم الثالث من جهـة وبين البلدان الغـربيـة الصناعية المتطورة ـ بحيث تقوم على مبادىء العدالة والتكافؤ والمساواة الفعلية، ومراعاة المصالح الخاصة بكل الأطراف، فإن العلاقات القديمة لا زالت حتى الآن في غير صالح البلدان النامية لأنها تقوم على القوة والاستغلال، وان العلاقات مع البلدان الاشـتراكيـة تعطي على الأقـل للبلدان النـاميـة الامكـانية للاختبار والمساومة والصمود في وجه الضغوط المتنوعة التي كثيراً ما تلجؤ اليها الدول الاستعمارية.

(المعرب)

٦ ـ الواقع ان هذا الزواج بدأ بالتفكك، بل هناك أكثر من مؤشر في الأيام الأخيرة، يدل على انه يتجـه بسرعـة نحـو الطـلاق، خاصة وقد اشارت الأخبار إلى وقوف البانيا إلى جانب فيتنام في صراعها مع كمبوديا التي تدعمها الصين.

(المعرب)

«التوازن الثابت» في هذه المجموعة الدولة المتنوعة، والتي نطلق عليها اسم «العالم الثالث» فبالرغم من أن هذا التوازن مطلوب ولكنه يحتاج إلى التبدل والتطور الضروريين في البلدان النامية؛ وإلى أن يحدث ذلك فإن الوضع العالمي سيبقى معرضاً إلى خطر مزدوج، لأن العالم الثالث يشكل ميداناً مثالياً للصراع بين كل القوى التي تتطلع للهيمنة والقوة؛ أما إذا استمرت هذه الحالة الخطرة مدة طويلة فإنها ستؤدي حتماً إلى ردود فعل عنيفة جداً من الشعوب الفقيرة.

والخلاصة: اننا نعتقد أنه من الضروري أن تقوم الدول الفنية المتطورة بتقديم مساعدات دائمة واساسية للدول النامية، شريطة أن تنظم وتستخدم بشكل «ذكي»!! .. إذا ما اردنا ان نجنب العالم خطر هذه الاضطرابات وإذا كنا نرغب استمرار التقدم العالمي في ظلال السلام.

٣ ـ الكتل والاحلاف الاقليمية

ليس من الضروري التذكير في هذا البحث الموجز، بمنشأ «الكتلتين» الكبيرتين، «الشيوعية» و«الغربية» ولا بنوع الخصومة القائمة بينهما، ولكن لا بد من الإشارة إلى الطبيعة الايديولوجية والعالمية لهذه الخصومة.

والواقع ان «الكتلة الشيوعية» هي في الأساس قارية ومتماسكة وضخمة، ولكنها كثيرة التنوع من الناحيتين الطبيعية والبشرية، وتشكل «موقعاً مركزياً» من قارة اوراسيا، يعزلها الجليد القطبي في الشمال، وتعزلها سلسلة جبال هيمالايا واستطالاتها في الجنوب، بالإضافة إلى أنها مفصولة ارادياً عن بقية العالم بواسطة «الجدار الحديدي»[٧] في الغرب وجدار البامبو[٨] (قصب الخيزران) في الجنوب

---

٧ ـ اصبح الحديث عن «الجدار الحديدي» او «جدار البامبو» غير ذي موضوع، لأن ما يسمى بالكتلة الشيوعية لم تعد كتلةواحدة بعد القطيعة بين الصين والاتحاد السوفياتي، من جهة، ولأن جميع البلدان الاشتراكية بما فيها الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية، تقيم علاقات واسعة ومتنوعة مع جميع الدول بصرف النظر عن أنظمتها السياسية والاجتماعية، وتفتح حدودها للزوار ←

الشرقي . وإذا استثنينا سواحل سيبيريا القاصية المطلة على المحيط الهادي ومنطقة مورمانسك المتحررة من الجليد طيلة أيام السنة والمطلة على بحر بارانت في الشمال؛ فإن الاتحاد السوفياتي ليس له أي منفذ مباشر للبحار المتفوحة؛ فالبحر البلطيقي، والبحر الأسود هما بحران داخليان تتحكم بهما المضائق التي تسيطر عليها «الكتلة الغربية» أما الصين فهي، على عكس الاتحاد السوفياتي تماماً، مفتوحة على المحيط الهادي.

وهذه الصفات الأساسية لها ميزات ايجابية، ومساوىء جدية منها:

ـ امكانية العثور في مثل هذه الأراضي الشاسعة والغنية بالثروات البشرية والمادية، على كل ما هو ضروري للحياة الاقتصادية؛ كما يمكنها الاكتفاء بطرق المواصلات الداخلية عند الضرورة.

ـ الحدود الطويلة جداً، وفي أغلب الأحيان تكون قابلة للنفوذ ومحاطة ببلدان يجب الاشراف عليها أو مراقبتها بل واحتواءها إذا لزم الأمر؛ ومن هنا تظهر الحاجة للاحتفاظ الدائم بالقوات العسكرية والوسائل الأخرى الضرورية في مناطق الحدود.

ـ صعوبة الانتشار البعيد حتى في عصر الطيران.

وقد ادى هذا الوضع بالاتحاد السوفياتي إلى استئناف السير على سياسة

والسواح من مختلف بلدان العالم، بل وتسمح ضمن حدود معينة لمواطنيها بزيارة البلدان الأجنبية، ولا يكاد يمر يوم إلا وتقيم فيه هذه الدول علاقات من نوع معين مع البلدان الغربية والبلدان النامية.

(المعرب)

٨ ـ جدار البامبو: اشارة المستنقعات الكثيفة التي كان تفصل فيتنام الشمالية الشيوعية، عن فيتنام الجنوبية، ومنطقة الخمير الحُمر عن كمبوديا الرجعية ـ وقد انهار هذا الجدار بعد انسحاب القوات الامريكية عام ١٩٧٥ من هذه المنطقة وامتدت حدود الكتلة الشيوعية إلى شواطىء الهند الصينية الجنوبية في المحيط الهادي (المعرب).

القياصرة التقليدية وتعزيزها، لأنها تتفق تماماً مع «مذهبه الثوري العالمي» واهدافه التوسعية. وترتب على ذلك ما يلي:

- العزلة الكاملة للبلدان الاشتراكية.

- خلق حزام عازل على طول الحدود في آسيا واوربا، من الدول التي تخضع طوعاً أو كرهاً للاتحاد السوفياتي. ومن هنا يبدو للاتحاد السوفياتي ان جميع الاحلاف التي عقدتها الدول المحيطة به، تشكل تهديداً مباشراً له. وهذه الاحلاف هي: الحلف المركزي (ايران تركيا، والباكستان)، وحلف الاطلسي (الذي يضم خمسة عشر دول)[9]. ولهذا السبب اقام الاتحاد السوفياتي حلف وارصو[10] ويسعى جهده للحرص عليه.

- التطلع باستمرار للسيطرة على المضائق وخاصة مضيق البوسفور والدردنيل الذي يعتبر المنفذ الوحيد للاتحاد السوفياتي إلى البحر الأبيض المتوسط

---

٩ - يضم حلف الأطلسي OTAN الدولة الآتية:

الولايات المتحدة الامريكية، كندا، المملكة المتحدة، فرنسا، لوكسمبورغ، النرويج، الدانمرك، بلجيكا، هولاندا، المانيا الاتحادية، ايطاليا، اليونان، البرتغال، ايسلندا، تركيا.

وقد انشىء هذا الحلف بموجب اتفاقية واشنطن التي وقعت في ٤/٤/١٩٤٩.

وهدف الحلف:

تدعيم التعاون بين الأعضاء وتأمين الدفاع الجماعي خاصة عن طريق وحدة القيادة، والانتاج اللاحزبي المنسق والمنشآت الدفاعية المشتركة، وتوزيع المهمات، والادوار بين الأعضاء، مما يعزز الحلف المشاورات السياسية للسعي لاقامة الانفراج في اوربا والسلام الدائم في العالم.

١٠ - حلف وارصو: انشىء هذا الحلف بتاريخ ١٤/ ٥/ ١٩٥٥، ووقعه كل م: المانيا الديمقراطية، وهنغاريا والبانيا (التي انسحبت منه نهائياً فيما بعد) وبلغاريا وتشكوسلوفاكيا، والاتحاد السوفياتي وكانت الصين ممثلة فيه كعضو مراقب إلى ان احصلت القطيعة النهائية بينها وبين الاتحاد السوفياتي.

وهدف الحلف: التعاون العسكري في حالة قيام عدوان مسلح في أوربا.

والاشراف عليه يجعل الاتحاد السوفياتي دولة متوسطية. كما يتطلع السوفييت بنهم لشواطىء بحر البلطيك التابعة لبولونيا والمانيا وقد سعوا في الماضي للوصول إلى البحر المتوسط عن طريق السيطرة على يوغوسلافيا[١١]، وباشعال الثورة في اليونان[١٢] وقد فشلت هاتين المحاولتين.

ويمكن ان نستخلص من هذه الملاحظات بعض الحقائق الجغرافية ـ السياسية البالغة الأهمية: فقد ادخلت الدانمرك والنرويج لحلف الأطلسي لأنهما يحميان مدخل بحر البلطيق، وادخلت تركيا لهذا الحلف لأنها تسيطر على مداخل البحر الاسود.

ومن ناحية أخرى فإن تحول يوغوسلافيا إلى التيتوية وتبنيها لسياسة عدم الانحياز، وانسلاخ البانيا عن حلف وارصو، اصابا الاتحاد السوفياتي بصدمة كبيرة وخيبة أمل، لأنه حرم من الموقع البحري على البحر المتوسط بعد أن كان في متناول يده.

وبالرغم من اننا لا نتكلم هنا عن الصين الشعبية التي سنتكلم عنها في الجزء الثاني من هذا الكتاب، إلا أنه لابد من الاشارة إلى ان النزاع الايديولوجي بينها وبين الاتحاد السوفياتي لايعني انفصالها نهائياً عن الكتلة الشيوعية، لأن طبيعة نظامها لا يزال شيوعياً، وسوف نرى في مكان آخر كيف ان النزاع الحقيقي بين هاتين الدولتين يرجع لاسباب ملموسة لا صلة لها بالايديولوجية[١٣].

---

١١ ـ انسحبت يوغوسلافيا من الكوفترن في حزيران ١٩٤٨، وتبنت سياسة عدم الانحياز اعتبارا من عام ١٩٥٣.

١٢ ـ نظم الشيوعيون في اليونان من الانصار لمقاومة الاحتلال الالماني، وبعد انسحاب هؤلاء عام ١٩٤٤، اثر نزول القوات البريطانية لشبه الجزيرة اليونانية حاول الشيوعيون اسقاط الحكم الملكي في اليونان واستمرت ثورتهم حتى عام ١٩٤٦ عندما عقدت الهدنة بين الأحزاب المتصارعة وهذه الهدنة التي مهدت لعودة الملكية لليونان.

١٣ ـ لقد اختلف الوضع بين الصين والاتحاد السوفياتي منذ القطيعة وتحول في نهاية السبعينات إلى عداوة صريحة ـ دفعت الصين إلى مقاومة النفوذ السوفياتي بكل الوسائل وفي كل مكان

أما «العالم الحر» فيشتمل على «الكتلة الغربية» والدول التي تنادي ببعض الحياد ومن بينها دول تنتمي للعالم الثالث.

ومن المؤكد ان اصطلاح «الكتلة الغربية» لا يكفي اطلاقاً للتعبير عن مجموعة الدول المنفصلة جغرافياً، والتي يحتفظ كل منها لنفسه بحرية الاختيار؛ إلا أن كثرة استعمال هذا الاصطلاح اعطاه المعنى الملائم والمعارض للكتلة الشيوعية.

وبلدان «الكتلة الغربية» ـ على عكس بلدان الكتلة الشيوعية ـ مبعثرة وموزعة على القارات الخمس، وهي تشكل في أوربا الغربية فقط مجموعة متماسكة بسبب الحدود المشتركة والتاريخ والمصاهرة المعنوية، والأنظمة الاقتصادية المتشابهة والتهديدات المتنوعة المشتركة التي تتعرض لها.

وعلى الرغم من ان بعض دول الكتلة الغربية لا تزال تصنف بين «الدول الكبرى» على صعيد السياسة الدولة، إلا أن جمع دول هذه الكتلة اصبحت في الواقع «دولاً متوسطة» أو صغيرة باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية التي تشكل وحدها «عملاقاً حقيقياً» وان وحدة هذه الدول تقوم على دعامتين أساسيتين: الأولى باعتباها مجتمع انساني مثالي متحضر، والثانية: ان جميع أنظمتها ذات طبيعة سياسية واقتصادية وعسكرية متماثلة.

وان الحياة في كل من هذه البلدان تتوقف على البلدان الأخرى وعلى التبادل المتنوع بين الجميع لأن ذلك هو القانون الذي يفرض نفسه في عالم اليوم.

وهكذا نجد ان المعطيات التي اوجدتها العوامل الجغرافية ـ السياسية لا بد لها أن تتفق وان تتكامل. وهذا يعني أن الانسان يعمل خاصة مدفوعاً بارداته السياسية والسيطرة على الطبيعة، التي زوده بها التقدم، سعياً وراء تغيير الوقائع

تستطيع الوصل اليه. واخذت بعد زيارة الرئيس نيكسون لبكين، تطور علاقاتها مع الولايات المتحدة وتسعى بكل الوسائل لتمتين علاقاتها باوربا الغربية واليابان لتحكم الحصار على الاتحاد السوفياتي، وهناك بعض الدلائل التي تشير عن احتمال نشوب صراع مسلح بين الفيتنام الذي يقف من ورائها السوفييت وكمبوديا التي تساندها الصين.

(المعرب)

الجغـرافيـة الطبيعيـة أو التـاريخيـة التي كانت تشكل عقبات كداة تمنعه من التطور خلال قرون طويلة، وان يقيم بدلاً عنهـا روابـط وصـلات افضـل تبـدو للأجيـال القادمة وكأنها طبيعة.

ان هذه الأفكـار التي اوردنـاها، تقودنا للإشارة إلى «طبيعة الكتلة الغربية» التي ليست حكراً لها وحدها، ولكن لأنها أساسية في تكوينها أكثر مما هي في غيرها من الكتل!.

فالكتلة الغربية لم يكن بالامكان قيامها أو تطورها إلا على اساس الروابط والمؤهـلات التي تربـط بين اعضـائهـا عبر القـارات والمحيطات. وإذا كان «غزو الفضاء» قد ساعد على ربط معظم نقاط الكرة الأرضية ببعضها فإن الاتصالات والنقـل الجـوي (للبضـائـع والأفـراد) ستبقى محدودة وبـاهظـة التكاليف، كما ان احجـامهـا واوزانهـا محدودة، ويختلف الأمـر بالنسبـة للنقـل البحري الذي اصبح «أسـاسيـاً» للمبـادلات التي لا بد منهـا للاقتصـاد العالمي الحديث، ليس بالنسبة للبلدان المنفصلة جغـرافيـاً بواسطـة البحـار فقـط، بل وبين بلدان القارة نفسها. والـدليـل على ذلـك أن البحـر هو الـذي يربط بين بلدان البحر المتوسط الأوربية وليست اليـابسـة، كما أن البحـر هو الذي يربط بين بلدان القارة الأميركية، أي بين بلدان غربي القارة وشرقيها عن طريق قناة بناما.

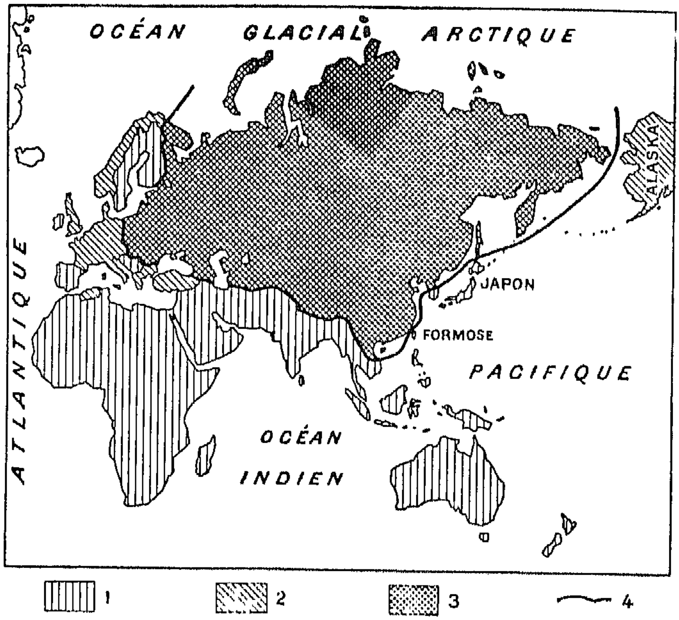
وهكـذا نرى ان العـالم الغـربي ليس سوى «عالم محيطي[١٤]»، بسبب طبيعته ونشأته ووجهته وتكوينه العالمي. ولهذا ايضاً، أن الظن بأن أي بلد من بلدان هذه الكتلة يمكن أن يعيش ويتطـور في حدود أراضيـه انـما هو نوع من التفكير القديم الـذي اثبتت الاحـداث بطـلانـه، حتى ولـو كان ذلـك يتعلق «بسيـاسـة العـزلة الأميركية أو الأوربية.

أمـا الكتلة الشيـوعيـة «فهي قاريـة» قبـل كل شيء، وتسعى عن طريق ايـديـولـوجيتهـا (السيـاسيـة والاقتصـادية والاجتماعية) لكي تشبع رغباتها العالمية

---

١٤ ـ نسبة للمحيطات.

بالتوسع، الأمر الذي قادها بشكل حتمي إلى الطموحات البحرية مهما كانت مصطنعة.



الشكل رقم ٢ -

- بلدان العالم الحر
- خط الفصل بين الكتلتين
- المحيطات.

والبلاد الغربية مترابطة أيضاً فيما بينها؛ وإذا كان ذلك يبدو متناقضاً للوهلة الأولى، إلا أن هذه الروابط اكثر حرية في اطار «الغرب» منها بين البلدان الاشتراكية التي تتسم روابطها بالتبعية الكاملة حيال الدولة الزعيمة.

وهناك ميزة اساسية للعالم الحديث، سنأتي على ذكرها في الجزء الخامس (البند ٣)، ألا وهي: «الحجم الأدنى»، وهذا يعني بالضرورة توفر كمية هائلة من الوسائل المتنوعة منظمة في أجهزة ومؤسسات ضخمة بغرض تحقيق المنجزات التي

تلازم التقدم؛ وان العجز في هذه الوسائل يؤدي حتماً إلى تراكم التخلف واتساع الفوارق بالثروة والقوة.

والواقع أن هذا «الحجم» غالباً ما يكون في الحدود القصوى للامكانيات البلدان المتوسطة بل وقد يتجاوز هذه الامكانيات على الصعيدين الاقتصادي والدفاعي. ولا يستثنى العالم الغربي من مثل هذا الوضع إلا إذا أقيم «توازن للقوى» في داخله، لكي يجنب دوله الحريصة جداً على شخصيتها المستقلة من التبعية للزعيم العملاق الولايات المتحدة الأمريكية[15].

ان الالتزامات تجاه الحلف، والطموح للمحافظة على الشخصية المستقلة أمران حيويان، ولكن مزجهما لا يمكن ان يتم بسهولة وبدون تضحيات قومية، أي بدون حلول وسط. ومن هنا تأتي كثرة الاتفاقيات والمعاهدات، والاحلاف،

---

١٥ ـ الواقع ان البلد الوحيد في اوربا الغربية الذي حاول جدياً التحرر من التبعية للولايات المتحدة الامريكية هو فرنسا في عهد الزعيم الراحل الجنرال ديغول، استطاعت أن تؤكد استقلالها الوطني وتميز سياستها الدفاعية والخارجية عن سياسات بقية بلدان اوربا الغربية وخاصة انكلترا. واستمرت هذه السياسة واضحة حتى نهاية رئاسة الرئيس جورج مومبيدو رغم ما لاقته من صعوبات، ويسعى الرئيس الحالي جيسكار ديستانغ جهده للتوفيق بين الاستقلال الوطني وبين سياسة الحليف الأكبر الولايات المتحدة، متجنباً المواضيع التي تثير حساسيات هذا الحليف ولكن دون التفريط بالمصالح الفرنسية الجوهرية، ويعتقد البعض أن هذا الاسلوب الجديد ينطوي على الكثير من المخاطر نظراً لاتساع النفوذ الأمريكي في جميع بلدان السوق الاوربية المشتركة واضطرار هذه البلدان لمالأة امريكا، هذا بالاضافة إلى حاجة اوربا الغربية للمظلة النووية الستراتيجية الامريكية، واخيراً الهيمنة الامريكية على النظام النقدي العالمي، مما تضيق على فرنسا الامكانيات بالمناورة لمتابعة السير في السياسة الديغولية بدون «عظمة وسمعة ديغول»

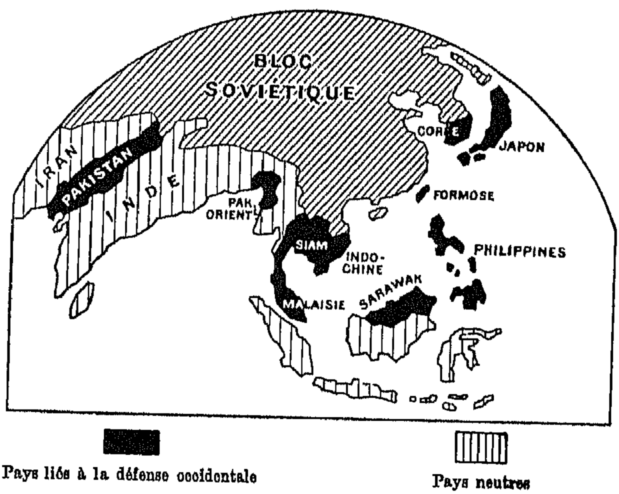
نسبياً، وتأثيرها على بقية بلدان اوربا الغربية، وعندما أصبحت احدى العوامل الثابتة في سياسة فرنسا الخارجية بعد وصول الحزب الاشتراكي الى السلطة عام ١٩٨١ بزعامة الرئيس فرانسوا متيران

(المعرب)

والتجارب والمشاريع بين بلدان العالم الحر، مما يعتبر احدى الصفات النموذجية لعصرنا الحاضر.

وهذه الالتزامات والطموحات لا تقتصر على بلدان «الكتلة الغربية» بل تمتد لتشمل البلدان المتعاطفة معها وغالباً ما تكون على نوعين يتلو احدها الآخر: كالاحلاف الدفاعية، والاتحادات الاقتصادية التي تمهد الطريق نحو الاندماج السياسي الشامل.

ونلاحظ في هذا الاثناء ان هناك «صيغة جديدة» مشتركة تجمع بين هذه الأنواع كلها، فالواقع ان النشاط الفعلي لحلف ما، كان يخضع في الماضي إلى ظهور ظرف معين مسبقاً، أما في هذه الأيام فإن الاحلاف تكون في نشاط دائم في كل الميادين الاقتصادية والسياسية والعسكرية. ويعتبر حلف الأطلسي النموذج الكامل لهذه الأحلاف في صيغتها الجديدة. ولما كان من الصعب ايراد جميع



الاحلاف في الشرق الأقصى

الشكل رقم - ٣ -

المعاهدات المتعددة التي عقدت في العقود الأخيرة من هذا القرن، (لأن الولايات المتحدة الامريكية وحدها وقعت حوالي أربعين معاهدة في جميع انحاء العالم)، لذلك سنكتفي باستعراض أهم هذه الأحلاف في العالم الحر.

ان حلف الأطلسي (NATO) ، وحلف جنوب شرقي آسيا (OTASE) المكملان بالحلف الاسترالي النيوزيلاندي ـ الامريكي، تغطي مجمل «العالم الغربي» وتحيط بالكتلة الشيوعية من جميع الجهات.

أما معاهدة البلقان[16] (التي تضم كلاً من يوغوسلافيا واليونان، وتركيا) والحلف المركزي (الذي يضم حالياً كلاً من تركيا وايران والباكستان بعد خروج العراق منه)، فيدعمان سلسلة الاحلاف، الغربية السابقة ويهدفان إلى ضمان أعلى نسبة من التنسيق والانسجام بين الدول الأعضاء. (انظر الشكل رقم ٢ ـ والشكل رقم ـ ٣ ـ).

وان مبدأ مونرو[17] الذي أوحى باتفاقيات ديودوجانير و[18] وهذه بدورها جسدت التضامن بين جميع بلدان القارة الامريكية باستثناء كندا.

أما اوربا الغربية فتسير نحو الوحدة بموجب سلسلة من الاتفاقيات الاقتصادية منذ قيام مجموعة دول البنيلوكس[19]، ومروراً باتفاقية المجموعة الاقتصادية الاوربية (.C.E.E)[20]، واتفاقية السوق المشتركة؛ ويدفعها في هذا الاتجاه ضرورة تجنب التفرقة المؤذية، والخوف من النفوذ الامريكي القوي، والتهديد السوفياتي المقلق، والهدف البعيد لهذه المجموعة هو اقامة «كتلة توازن» تقف بين العملاقين، وأخيراً فان القارة الافريقية تشهد في السنوات الأخيرة قيام

---

١٦ ـ حلف البلقان.

١٧ ـ مبدأ مونرو

١٨ ـ اتفاقيات ريو دوجانيرو:

١٩ ـ مجموعة دول البنيلوكس:

٢٠ ـ .C.E.E

مجموعات مختلفة الأنواع والأغراض كما سبق اشرنا اثناء الحديث عن العالم الثالث.

ويجدر بنا الاشارة على سبيل الذكرى. بان الاتفاقيات الثنائية المتعددة (اقتصادية وفنية وثقافية وعسكرية الخ. .) التي اقتضتها بعض الحاجات الاقليمية والتي تستند إلى سياسات قومية معينة، لا يمكن ان يكون لها تلك الأهمية التي للأحلاف، لأنها لم تنشأ بوحي من الضرورات الجغرافية السياسية، ولذلك فهي معرضة للزوال السريع.

ومن المخاطرة بمكان الاسراع باستخلاص نتائج نهائية من هذا البحث الموجز الذي لا يمكن اعتباره بحثاً كاملاً بالاضافة إلى أن معطياته قابلة للتغيير. غير أن ذلك لا يمنعنا من الاشارة إلى بعض العوامل الدائمة والاتجاهات البارزة التي امكن الوصول إليها خلال البحث وهذه العوامل هي:

- الموقع الجغرافي: ان الموقع الجغرافي لدولة ما يحدد إلى درجة بعيدة دورها الدولي وعلاقاتها بالدول الأخرى.

- توزيع اليابسة والبحار، والتعارض الطبيعي بين القوى البحرية والقوى القارية تحتفظ بقوتها كوقائع جغرافية ثابتة.

- المواصلات والنقل: هما عنصران اساسيان في حياة العالم الحديث، وقد تتعرضان للزوال بدون المبادلات المتعددة بين البلدان، علماً بأن هذه المبادلات اصبحت حيوية بالنسبة لجميع الشعوب ولا يمكن الاستغناء عنها.

- الانسان: هو العنصر المسيطر والحاسم وذلك بفضل ملكاته العقلية والعاطفية ولأن سلطته على الأشياء تزيد باستمرار دوره الحاسم، إذ هي تساعده على تكييف أو تعديل الامكانيات الطبيعية في اطار مجاله الأرضي.

غير ان الانسان يبقى عرضة للتأثر بالايديولوجيات، والأفكار والعادات والتقاليد والمعتقدات التي اورثتها له الحضارات والاعراق، كما ان قدراته ليست متساوية عند جميع الشعوب: وان المبادلات المتنوعة والاتصالات كفيلة بتخفيف

هذه الفـروق إلى حد بعيـد. كما ان اتســاع السلطـات والـوسـائـل التي في حوزة الانسان تُدعِّم من الوقائع الجغرافية ـ السياسية.

ـ المجمـوعـات الاقليمية: ان غالبية هذه المجموعات على مختلف اشكالها واغـراضهـا، إذا لم نقـل كلهـا ـ تتشكل عادة من بلدان ليس لها «الحجم الادنى» الضـروري لضـمان الإزدهـار والـدفـاع عن النفس باستقـلال كامـل؛ وان تاريخاً مشـتركـاً وصحيـاً، يحاك بين بلدان هذه المجمـوعـات، تدريجيـاً ترضه المبادلات والروابط والعادات الناشئة.

ـ التنظيم الاقتصـادي، والتنظيم الـدفـاعي: يميلان هذان التنظيمان إلى تجاوز الاطار القومي باتجاه الاطر الاقليمية والدولية، على الرغم من الانتفاضات الفجائية التي لا يمكن تفاديها.

ـ التقــدم: يتجــه إلى خلق اسلوب للحيـاة متشـابـه في كل الامكنـة من الكـرة الأرضيـة، واعطـاء هذه الحياة صفتين أساسيتين: وحدة المعايير، وخلق حاجات معينة بفرض تنمية القدرة على استهلاك الانتاج الغزير.

غير ان هنـاك اختـلافات لابد وان تقوم في البلدان التي تحاول توجه التقدم باتجاه معين.

ـ الخط البياني للحواجز السياسية في العالم: طرأ على هذا الخط الكثير من التغييرات منذ بداية القرن الحالي. ومع ذلك فإن هذه الظاهرة السطحية قد تكون خادعـة أحيـانـاً لأنهـا لاتتطابق دائماً مع الحقيقة الجغرافية السياسية. وان الخريطة التي تمثـل هذه الحـواجز (أو التقسيمات الدولية الجديدة) مزيفة إلى حد ما. ولا بد لها لكي تنطبق على الواقع من ان تبرز الكتل الكبرى التي غالباً ما تكون مختلفة عن خط الحـدود الـرسميـة القـائمة. والتحول الحقيقي للعالم على محيط وتكوين هذه الكتل، كما يؤثر على شبكة العلاقات التي تقوم في داخلها أو تربط فيما بينها.

ومن بين فضـائـل الـدراسـةالسريعة للجغرافيا السياسية اظهار هذا الواقع الهام بالنسبة للمستقبل.

٢ ـ القوى الجاذبة والقوى النابذة ومناطق العظمة ومراكز القوة[٢١]

تتـداخـل هاتان القوتان على محمل الساحات التي تشكل تقسيم وتصنيف البلدان فوق سطح الكرة الأرضية.

فالصـلات الـروحية المتنوعة تشكل «قوى جذب» بين البلدان التي تتقاسم نفس المفـاهيم المعنـويـة والثقـافيـة كالـدين المشـترك واللغة، والبرامج التعليمية المـوحـدة، في المدارس والجامعات، والارث التاريخي، الخ . . والشعوب اللاتينية فيـما بينهـا، والشعـوب الانكلو ـ ساكسونية، والمستعمرات القديمة بالنسبة للدول التي كانت تستعمرها، ليست الأمثلة الوحيدة على ذلك.

كما أن الأهـداف السيـاسية الواحدة، والآداب المتشابهة التي ترجع للمناخ الـواحـد، تشكـل عنـاصـر جذب هامة، وأخيراً فإن ردود الفعل ضد ايديولوجية معـاديـة ما، يمكن أن تقـرب بين الشعوب المختلفة جداً، كما هي الحال مثلاً بين تركيا والنرويج في اطار حلف الأطلسي (NATO) .

والعلاقات الدولية والمبادلات المتنوعة تعتبر من العوامل الهامة في تطوير هذه القـوى، وغـالبـاً ما تكشف عن مواضيـع أكثر مما تكشف عن مبررات للخلاف، وهذه الأخيرة ترجع في الغالب إلى الأحكام وكُراء المسبقة أو السطحية التي كرسها الجهل المتبادل.

وتعـود «القـوى الجـاذبـة» لأسبـاب ماديـة من السهل تمييزها. ففي ميادين الاقتصـاد والمـواصـلات والـدفـاع الـوطني، يمكن للاتفاقيات المطبقة تطوير هذه القـوى على الـرغم من كل ما فيهـا من تنـاقضات، لأنها تنسج ببطء بين البلدان المتعاقدة تاريخاً مشتركاً، لذا يستحسن المحافظة عليها حتى ولو بدا ان محسناتها في طريق الزوال. ويمكن لحلف الأطلسي ـ على هذا الاساس ـ ان يخلق مثل هذا التـاريـخ كما يمكن «لاوربـا المتحـدة» أن تولـد من العـادات التي تكرسها اتفاقيتا الأسرة الاقتصادية والسوق الأوربية المشتركة.

---

٢١ ـ Les Zones de prumauries و et les centres de fonces .

وفي الماضي لم تستطع «القوى النابذة» ان تثبت فعاليتها إلا في حالات البلدان المتجاورة أو القريبة من بعضها. ولكن الواقع الراهن الذي يكمن في سهولة واتساع سبل المواصلات، يساعد على اقامة علاقات فعلية مع جميع انحاء العالم. هذا العالم الذي تغير وجهه الجغرافي ـ السياسي إلى حد بعيد.

ويمكن لنفس هذه القوى أن تنشىء «عناصر نابذة» عندما تتعارض المفاهيم بين بلد وآخر. غير ان هناك أسباباً أخرى للتنافر منها: ذكريات الماضي التي تنطوي على الاحقاد وعدم الثقة والرغبة بالثأر والمصلحة في تأجيج هذه المشاعر أو اصطناعها كلياً.

ونحن نعلم أن القوميات الفتية غالباً ما تلجؤ لهذه السبل وفي مثل هذه الحالات يقدم التكنيك الحديث امكانيات هائلة للتأثير على الرأي العام مهما بعدت المسافات.

وأخيراً يمكن للاعراق والديانات ان تكون ايضاً مبررات فعالة للتنابذ. ومن الملاحظ ان بعض المناطق لا تزال مسرحاً لمثل هذه الصراعات (العرقية والدينية) ونخص منها بالذكر البلدان الآسيوية، والبلدان الاسلامية[٢٢].

ومن الواضح أن بعض «المناطق المتميزة» تلعب ادواراً من الدرجة الأولى في التوازن الاقتصادي والسياسي العالميين: فالعالم جون ماكندور كان يرى ان منطقة العظمة[٢٣] هي في «الجزيرة الكونية World's land» وقد تبنى الخبراء الاميركيون هذه المقولة وطبقوها على بلدهم، كما فعل الألمان من قبلهم. ويميز الاستاذ (G.T. Renner) . ج. ت. رينر من جامعة كولومبيا في امريكا، يميز من ثلاث

---

٢٢ ـ يتجاهل المؤلف متعمداً على الأغلب ـ الصراعات التي تجري في ايرلندا بين البوتستانت والكاثوليك، والصراع العرقي الذي يستند إلى التفرقة العنصرية، والذي تشنه الدول العنصرية في جنوب افريقيا وروديسيا ضد الأكثرية السوداء من سكان البلاد، وكذلك الفلسفة العنصرية والدينية التي تقوم عليها السياسة التوسعية الصهيونية.

(المعرب)

٢٣ ـ منطقة العظمة Lz Zone de puissance

مناطق للعظمة وهي:

- اوربا بمجموعها، وامريكا الشمالية الشرقية ومنطقة جنوب شرقي آسيا.

وقد حُددت «مناطق القوة»[٢٤] على نطاق أضيق رغم انها تتبوأ فعلياً مكانة من الدرجة الأولى، والأمثلة البارزة على هذه المناطق هي:

- المجموعة الصناعية التي تغطي اجزاء من فرنسا وبلجيكا والكوكسمبورغ وحوض الروهر في المانيا.

- والمنطقة الصناعية الواقعة شمال شرقي الولايات المتحدة الامريكية.

ان مراكز القوة هذه قابلة للتغيير مع الزمن، فبعضها يضمر والبعض الآخر يختفي تماماً، بينما تظهر مراكز اخرى جديدة. والحقيقة ان عناصرها المكونة تتبدل أيضاً، ومن الأدلة الواضحة على ذلك أن مناطق انتاج الزيت كانت لفترة طويلة من العوامل الحاسمة ولكن اكتشاف البترول أبطل الكثير من المعايير السابقة وادخل تعديلات جوهرية على الجغرافيا ـ السياسية، وسيبقى الأمر كذلك إلى أن تغير الطاقة النووية (أو أية طاقة أخرى) هذه المفاهيم.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن تطور وسائل النقل ساعدت على التمركز الصناعي في أماكن كانت تبدو في الماضي القريب من المستحيلات[٢٥].

وأخيراً فإن انطلاق «البلدان النامية» على طريق التطور والتصنيع اخذ يرسم مراكز للقوة في منتهى الجدة.

والتقسيم السياسي للعالم لا علاقة له اجمالاً بهذه القوى، وهو في كثير من الأقاليم سابق لزمن اكتشافها، وان المبررات المعنوية التي بني عليها تتفوق غالباً على النواحي المادية المرتبط بمراكز القوة حتى ولو كانت تؤمن للسكان حياة أفضل.

لهذا لا بد من الاعتراف أن الخيارات المعنوية لا تتطابق بسهولة مع الحتمية الجغرافية ـ السياسية.

---

٢٤ ـ مراكز القوة Les Centres de Fonces

٢٥ ـ من الأمثلة البارزة على هذه المناطق الاسكا في امريكا، وسيبريا في الاتحاد السوفياتي.

الجزء الثاني

الجغرافيا ـ الستراتيجية
LA GEOSTRATEGIQUE

«الحرب فن بسيط وكله تنفيذ».

● نابليون بونابرت

ان المبادىء الأساسية للستراتيجية بسيطة، والحلول الممكنة فيها ليست متعددة اطلاقاً ولا هي معقدة. غير ان الخيار الواجب اتخاذه بينها، وكذلك التنفيذ يتطلبان من القائد (او رجل الستراتيجية) كفاءة عالية وصفات استثنائية، لأن «القادة الكبار» في التاريخ «حالة نادرة».

ولن نحاول هنا أن نعالج سوى احد المميزات الرئيسية التي تقوم عليها «كفاءة القائد العسكري» وهي:

دراسة العلاقات بين المشاكل الستراتيجية من جهة ومن عوامل الجغرافيا ـ السياسية، وهذه العوامل لم تعد اطلاقاً مقتصرة على المميزات الطبيعية للأقاليم، كما كانت في الماضي، بل هي اليوم جميع العوامل التي تلعب او يمكن ان تلعب، دوراً في الجغرافيا السياسية، وآثارها هنا (أي في الستراتيجية) وهناك متشابهة. وقد اصبح من اولى واجبات القادة السياسيين والعسكريين أن يحسبا حسابها في خططهما الخاصة، لأنها توفر لهم قواعد مشتركة، تستوجب المطابقة المسبقة والتعاون الوثيق في أيام السلم وفي زمن الحرب.

ولهذه الأسباب تعتبر «الاستراتيجية» من اختصاص كبار المسئولين من سياسيين وعسكريين في أعلى المستويات الحكومية.

و «الجغرافيا ـ الستراتيجية» هي الشقيقة الثانية للجغرافيا ـ السياسية، وتشكل معها، «لوحة مزدوجة ومنسجمة» تزود القائد السياسي والقائد العسكري بأسلوب موحد للاقتراب من المشاكل المترابطة بالضرورة في العالم الراهن، وهي تحظى «بشرعيتها» تدريجياً لأنها تعالج مجموعة العلاقات الأساسية في الحياة الحديثة للدول.

الفصل الرابع

تطور الستراتيجية

«. . هذا الخمـول الذهني الذي يعتبر
الستراتيجية مكانه المفضل»
● الاميرال كاستيكس

١ ـ الآراء الكلاسيكية

ان تخطيط وادارة وتنفيذ «العمليات العسكرية : يتم على صعيدين يجب التمييز بينهما :

فالأول هو «المستوى الستراتيجي» حيث يجري فيه «التصور العام للعمليات» والتنبؤ بمجموعة التحركات والادارة البعيدة للقوات المشتبكة في المعركة . والقائد (الستراتيجي) يستوحي افكاره من «المذاهب العسكرية» ليضع على اساسها الخطط الشاملة على المدى القريب والبعيد .

والثاني هو «المستوى التكتيكي» (التعبوي) وغايته الوصول إلى أقصى حد ممكن من «فعالية المناورة والأسلحة» اثناء القتال على الأرض، والقائد العسكري التكتيكي ، يستند إلى قواعد محددة ويطبقها مباشرة بما يتلاءم وشروط المعركة وتطوراتها .

وهكذا يتضح أن «الستراتيجية» و«التكتيك» تحتلان مستويات مختلفة، أما في الميدان الجغرافي الذي نحن بصدده فإنهما تبحثان الأشياء من زوايا مختلفة تماماً:

«فالتكتيك» يجب ان يتكيف حسب الخصائص المحلية الآنية، وخاصة الطبيعية منها.

أما «الستراتيجية» مهمتها ـ على العكس تماماً ـ معالجة مشاكل أكثر اتساعاً، وأقل محدودية في الزمن وعليها أن تدرك بعمق العوامل التي تقوم عليها الجغرافيا السياسية، وأن تستغلها بنفس الروح.

ولن يعود ثانية إلى التكتيك، لأن هذه المقارنة السريعة تسمح لنا بعد الآن بالاحاطة بميدان الستراتيجية.

والحقيقة يمكن التصور مباشرة بأن «الحد الأعلى» للستراتيجية هو «السياسة» التي تغطي جميع فعاليات ونشاطات وتنظيمات بلد ما، وأن «الحد الادنى» للستراتيجية هو «التكتيك» الذي يعتبر عملاً عسكرياً صرفاً من اختصاص القيادات العسكرية.

ويمكن ان نفهم من هذا ايضاً إلى أي حد يمكن ان تختلف، «مفاهيم القائد العسكري الستراتيجي» التي توازي «مفاهيم رجل الدولة السياسي» وتتفق معها، عن مفاهيم «القائد العسكري التكتيكي» التي لا تتجاوز كونها مفاهيم فنية من مستوى رفيع همه قبل كل شيء المردود العملي الملموس على ساحة المعركة.

ولقد كان من الممكن في الماضي تعريف الستراتيجية بكل بساطة، عندما كانت الحرب فقط بين جيشين محدودي العدة والعدد دون ان تساهم بلديهما عملياً بهذه الحرب. ولكن الأمر يختلف تماماً في هذه الأيام[1]، حيث اصبحت «القوى

---

١ ـ لا تزال الحروب المحلية والاقليمية التي تنشب بين البلدان النامية، تغلب عليها الطابع القديم رغم كل ما تحشده من امكانية بشرية ومادية، نظراً لقصرها من الناحية الزمنية، ولرغبة الأطراف المتحاربة في عدم زج جميع امكانيات البلاد في الحرب الامر الذي قد يخرجها من الاطار المرسوم لها ويفتح المجال الواسع لتطورها وامتدادها إلى مستويات اقليمية ودولية يصعب التحكم فيها في الظروف الدولية الراهنة. ويمكن ايراد حروب الشرق الأوسط، والنزاعات

المتصارعة» لا تقتصر على القوات المسلحة فحسب، بل تشمل البلاد بكاملها، فتكرس جميع النشاطات والفعاليات (المادية والبشرية) للمجهود الحربي، منذ الفترة التي يبدؤ فيها الاعداد للحرب، وتكون كلها بنفس الوقت معرضة لضربات العدو. ولم تعد الستراتيجية عملاً عسكرياً من وجهة النظر التي تهمنا في هذا البحث، بل يجب عليها أن تأخذ بعين الاعتبار جميع «العوامل المتغيرة» للجغرافيا ـ السياسية، طبقاً للظروف المتعاقبة المحتملة الظهور.

وعلينا إذن ألا نقتصر في بحثنا على الجغرافيا بل يجب ان نعالج «الجغرافيا ـ السياسية الملائمة لعصر الفضاء». ولهذا السبب بالذات، وبهذه العقلية يعمد الانكلو ـ ساكسون إلى جمع البحوث الجغرافية وعناصر الستراتيجية في كتاب واحد (والمثال على ذلك هو كتاب «جغرافيا العالم السياسية World Political» Geographie من تأليف ايتزل ETZEL وفيفيلو Fifield في امريكا او الجغرافيا العسكرية الامبراطورية.

Imperial military Geographie من تأليف كول Kool في بريطانيا).

والمبادىء العامة للستراتيجية قليلة العدد وقد أجملها المارشال فوش[٢] في ثلاثيته المشهورة:

«الاقتصاد بالقوة، ووحدة وحرية العمل» وهي تهدف على الصعيد العسكري للبحث عن تدمير قوات العدو المسلحة بأساليب متنوعة لكل منها أنصاره المتحمسين، ولكنها كلها تخضع دائماً لقانون عام لا يعرف الاستثناءات إلا نادراً ألا وهو: «أن النصر للأقوى، وان الهدف الأساسي للمناورة الستراتيجية هو

التي جرت على الحدود بين الباكستان والهند، وبين الصين والهند، وكذلك الحروب والاشتباكات التي تجري على ارض القارة الأفريقية، وفي جميع هذه الحروب يلاحظ أن الحياة العادية في داخل البلدان المتحاربة تكاد تستمر على حالها دون أي تغيير ولا يشعر الناس بوطأة الحرب إلا عن طريق وسائل الاعلام.

٢ ـ المارشال فوسن هو القائد العام الفرنسي لقوات الحلفاء في الحرب العالمية الأولى.

في النهـايـة خلق الشـروط التي تجعلنـا في وضـع الأقـوى، في الـزمـان والمكـان المطلوبين». وان عبقرية نابليون بونابرت العسكرية كانت اساساً في نجاح مناوراته الستراتيجية بشكل نظامي مدهش».

والسـتراتيجيـة العـامة ترمي إلى دراسة ومعالجة «مجمل الحرب» او الصراع بغـرض توجيـه كل القوى والـوسـائـل المسـاهمة فيها، وهي تمارس فوق «مسارح العمليـات»؛ وكـل «مسـرح» منهـا يتطـابق مع «منطقة جغرافية» معينة، ويوحي بمفهوم ستراتيجي خاص به يكمل الستريتيجية العامة.

والصفات الجغرافية لمسرح عمليات مالاتحدد الحلول الستراتيجية الممكنة فحسب، بل تحدد نوع القوى المطلوبة والمناسبة للعمل فيه. لذا فمن الضوري ان يراعى في تنظيم وتسليـح وتجهيـز القوات المحاربة شروط وطبيعة مسرح العمليات الذي ستعمل فيه.

وأخـيراً، هنـاك عنصـر وحيـد يعطي لكـل مسرح عمليات صفته المميزة، فالأرض والبحـر لكـل منهـا اسـتراتيجيتـه الخاصة (برية، وبحرية)؛ غير أنه من الممكن أن تكون المبادىء العامة واحدة في كل هذه المسارح مع اختلاف الوسائل والشـروط الخـاصـة بكـل منهـا، وغـالبـاً ما تختلف المذاهب العسكرية حول هذه المبادىء تبعاً للنتائج السيئة التي ترتبت عليها.

وقـد ادخـل «غـزو الفضـاء» عنصراً ثالثاً على الستراتيجية، فأصبح للقوى الجـويـة ستراتيجيتهـا منـذ ان وثق هذا السـلاح بنفسه وبدوره الحاسم في المعركة وأثبت ذلك عملياً.

وسوف نرى كيف ان التطور العميق للأسلحة والوسائل الدفاعية، والتقدم التقني، بل وتطـور العـالم نفسـه، كيف ادت جميعهـا لالغـاء جزء من الصعوبات والمعوقات ولاعطاء العوامل الجغرافية دوراً جديداً في الستراتيجية.

٢ ـ الشروط الجديدة

ان التبـدلات التي غيرت وجـه العـالم تعطي للصـراعات المسلحة صفات

جديـدة متعـددة وشـديـدة التعقيـد، ليس من السهـل تخيلهـا مسبقـا. كما لم يعد للحـرب صفـة واحـدة اطـلاقـاً وانـما عدة صفـات تتجمـع لتميـز الحرب الحديثة بأشكـالهـا المتغـيرة، وتكـوّن عوامل جديدة ودائمة للستراتيجية. وسنذكر فيما يلي هذه العوامل محاولين تلخيص تأثيرها على الستراتيجة:

آ ـ الأسلحـة: وأول ما يسـترعي الاهتـمام هو تلك الـزيـادة الهـائلة في قوة الاسلحـة الكـلاسيكيـة، وظهـور أسلحة جديدة وخاصة منها السلاح النووي ذو القـوة التـدمـيريـة الخيـاليـة. وهذه الزيادة بالقوة رافقتها زيادة بالمدى أي امكانية ضرب قطـاعـات واسعـة جداً: وحلت الطـائـرة احيـانـاً محل المـدفع، واستخدم الصاروخ بدلاً من الطائرة، ومع ذلك لم يلغ أي من هذه الأسلحة السلاح الآخر لأن ضرورات المعـركـة تتطلب احيـانـاً توجـه القـذائف إلى اهداف قريبة جداً، وأحياناً اخرى توجيهها إلى اهداف بعيدة.

والـواقـع أن اهم ما يمتـاز به السـلاح الحـديث هو أنـه أصبح يتكـون من «مجمـوعـة متكـاملة»، فتحول من «سلاح بسيط» إلى «سلاح مركب» متنوع جداً حسب تنـوع واختـلاف طبيعة الأهداف (الوحدات البرية، الطائرات، السفن، الغواصات الخ..)؛ وهذه المجموعة هي: «السلاح ـ جهاز التسديد ـ القذيفة ـ جهاز التوجيه».

ان هذا التطـور الكـبير لم يغـير المبـادىء السـتراتيجـة، التي توصي دائماً بضـرورة العمـل على خلق الـوضع الملائم الذي يجعل العدو في موقف الضعيف ويعطي الفـرصـة لقـواتنـا لضـربه من موقع القوة؛ ولكنه تطور الاسلحة ادى إلى تطور في أساليب القتال أي انه ادى إلى تغيير في التكتيك.

ب ـ الـواقـع النـووي: يهيمن الـواقع النووي على الستراتيجية في الوقت الحـاضـر، ولكن ذلـك لا يخلو من التناقض في أغلب الأحيان. فقد اصبح معلوماً من الجميع أن الحرب النووية الشاملة ستؤدي إلى كارثة عالمية مروعة، لا يستطيع احـد تصـور نتـائجها الكاملة. ولما كانت اطراف النزاع الكبرى تملك قوى نووية متعادلة، فإننا لا نعتقد بأن أية دولة منها يمكن أن تتحمل مسؤولية تفجير الحرب

النووية الشاملة. ولهذا نلاحظ أن العالم وصل إلى مرحلة «التوازن النووي القائم على الردع» أي على التهديد بالرد النووي الكافي لكي لا يكون أي هجوم نووي مفاجيء عملية رابحة.

غير أن هذا «التـوازن النـووي» لايلغي الحروب، وانما يحولها إلى «نزاعات اقليمية» لا تستخدم فيها الأسلحة النووية بالتواطؤ الضمني بين القوى العظمى. ولا يستبعد أن يأتي اليوم الذي ستستخدم فيه الأسلحة النووية على نطاق ضيق[٣] (أي استخدام الأسلحة النووية النظيفة أو التكتيكية مثلاً).

ومـع ذلـك فإن الخطـر الـرهيب لا يزال يخيم فوق رؤوس البشـريـة بسبب الخوف من نشوب الحرب النووية عن طريق الانزلاق التدريجي أو الخطأ.

ويعتـبر هذا الخطـر نوعـاً من التهـديـد وأسلوباً من اساليب الابتزاز، يثقل كاهل العلاقات الدولية ولا يمكن للمخططات الستراتيجية أن تتجاهله مهما كان نوع الحرب التي تعالجها.

هذا وان استغـلال «الطـاقـة النـوويـة» كوقود للمحركات، بدأ يلعب دوراً رئيسيـاً في السـتراتيجيـة، فهـويعطي للسفن «مـدى عمـل» يكاد يكون قريباً من

---

٣ ـ لقـد وصلت الأوضـاع في حرب كوريـا، وحـرب فيتنام إلى الحد الذي كاد يدفع بالولايات المتحدة الأمريكية إلى استخدام الاسلحة النووية، فقد أدى ذلك إلى عزل الجنرال ماك آرثر من قيادته خوفاً من ردود الفعل السوفياتي التي قد تفجر الحرب النووية وتقول بعض المصادر التي لم تتأكـد بعـد، أن «اسـرائيـل» كادت تستخـدم السـلاح النـووي بعـد الزلزال الذي حل بقواتها المسلحة في الأيام الأولى من «حرب تشرين» والتي اوصلتها إلى حافة الهزيمة المؤكدة لو لم تنقذها الـولايـات المتحـدة الأمـيريكيـة عن طريق «الجسـر الجـوي» الـذي قلب معادلة الحرب لصالح اسـرائيـل، وحال دون استخدام «القنبلة النووية الاسرائيلي» كما يؤكد بعض الخبراء أن الانذار السـوفيـاتي الـذي وجهه بولغانين إلى انكلترا وفرنسا اثناء حرب السـويس عام ١٩٥٦ كان جدياً وتفـوح منـه رائحـة الاسلحـة النـوويـة، وان هذا الانـذار مضافاً إليه موقف الولايات المتحدة الاميريكية الأخير من العدوان أجبرا الاطراف الثلاثة المعتدية إلى الانسحاب.

(المعرب)

اللانهاية، ويجعلها أكثر استقلالية ويسمح للغواصات بشكل خاص بالبقاء اطول مدة ممكنة تحت الماء، أي أنها تبقى مختفية لمدة طويلة وهذا يزيد من صعوبة كشفها ويمكنها من القيام بالهجوم المفاجىء انطلاقاً من أية نقطة في البحار.

جـ ـ الوسائل المادية: تمتلك الجيوش الحديثة وسائل متنوعة أقوى من سابقاتها بما لا يقدر، فالطيران والآليات والصواريخ واجهزة الاتصال وأجهزة الرصد والكشف البعيد الالكترونية (الرادار، واجهزة رصد الغواصات الخ. .). واجهزة التوجيه عن بعد. . ، وهذه المنجزات المتطورةجداً أحدثت انقلاباً في طريقة استخدام القوات المسلحة وضاعفت من امكانياتها. فقد ازدادت حركة القوات عشرات المرات من حيث السرعة والمسافة؛ وأصبحت الحواجز الطبيعية التي كان من المستحيل اجتيازها في الماضي (كالجبال ومجاري المياه. .) قابلة للاختراق أو الالتفاف حولها بسهولة؛ ولم يعد الطقس يمثل نفس الشروط الصعبة التي كانت له سابقاً، وهكذا أصبح بمقدور الوحدات العسكرية مباشرة القتال في أي مكان وتحت أي ظروف مناخية. غير ان هذه المميزات الجديدة لا تخلو من جوانب سلبية، لأن الوسائل الحديثة تحتاج إلى التموين والصيانة، بالإضافة إلى انها على جانب كبير من الحساسية والتعقيد مما يشكل بحد ذاته اعباء كبيرة لا بد للستراتيجية أن تأخذها بعين الاعتبار.

ولما كان باستطاعة الطائرات والصواريخ بلوغ أي هدف فوق سطح الكرة الأرضية فإن الحرب اصبحت تشمل كل مكان ولم تعد محصورة في منطقة القتال؛ كما لم يعد هناك «مؤخرات» فكل السكان وجميع المنشآت والثروات اصبحت مهددة. يضاف إلى ذلك أن القتال يجري الآن في الفضاء وفوق البحار وتحت الماء، ولهذا أصبح على الستراتيجية استغلال أنواع جديدة من الجغرافيا، ألا وهي: «الجغرافيا ـ الفضائية، وجغرافية اعماق البحار، وهما مادتان جديدتان تزداد اهميتهما يوماً بعد يوم.

إن المواصلات الالكترونية المتعددة تضمن ايصال المعلومات بأقصى السرعة والكمال، وهذه الامكانيات مضافة إلى مرونة حركة القوات يمكن ان

تؤدي دفعة واحدة إلى «مركزية القيادة في الانساق الستراتيجية» وتجعلها «اكثر استقلالية على الصعيد التكتيكي»، هذا بالاضافة إلى أن الكشف الالكترومغناطيسي في الجو (الرادار) وتحت البحار (السونار وغيره) يساهم مساهمة فعالة في هذا الاتجاه.

وسوف نرى والحالة هذه أنه لم يعد من الممكن تلبية حاجات الستراتيجية من هذه الوسائل إلا إذا استثمرت بعض عوامل الجغرافيا ـ السياسية.

د ـ الامتداد السياسي والطبيعي: ان ارتباط الدول ببعضها البعض هو واقع جغرافي ـ سياسي حديث، يزيد بسرعة مضاعفات نزاع ما، حتى ولو بقيت العمليات العسكرية البحتة محصورة. إذ سرعان ما تدخل إلى الميدان المصالح المتعددة تدعمها الايديولوجيات ـ فتضع كلاً من الخصمين المتنازعين تحت راية معينة، دون أن تتعرض لاتساع العمليات العسكرية في البداية ولكن هذه لا تلبث ايضاً أن تتطور إلى صراع اقليمي اودولي (نصف عالمي) بل وقد تؤدي إلى حرب عالمية شاملة.

وهكذا نرى ان القرارات الستراتيجية تتأثر مباشرة بالتهديدات المستمرة وبالمساعدات المادية والمعنوية التي تقدمها القوى الأجنبية لطرفي النزاع. ولا يمكن بالتالي ان تكون هذه القرارات مستقلة عن السياسة، بل على العكس، يجب ان تكون ترجمة لها في الميدان العملي.

لقد كانت السياسة في الماضي تكتفي بقرار اعلان الحرب وتحديد اهدافها ومن ثم تترك للعسكريين قيادة الحرب على هواهم، حتى إذا انتهت الحرب عادتْ السياسة لاستثمار نتائجها على الصعيد الدبلوماسي. أما اليوم فعلى «السياسة» أن تقوم بادارة الحرب مهما طالت، لأن لكل «عملية ستراتيجية» مضاعفات مباشرة واسعة وعميقة من جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكل من هذه النتائج لا يؤثر على المعركة فحسب بل يتجاوز ذلك إلى التأثير على العوامل الجغرافية السياسية وتوازنها في صف الاصدقاء وجبهة الاعداء مما قد يكون له تأثير كبير على عالم ما بعد الحرب.

أمـا الحـروب الاقليمية (المحدودة) المتكاثرة فلا يمكن أن تبقى محدودة إلا إذا كانت قصـيرة جداً ليس في مرحلتهـا النشطـة فحسب بل وفي مرحلة اعـدادهـا ونشوبها. وهذا الشرط ضروري بشكل خاص للحروب التي من انواع «التدخل» أو «عمليـات حفـظ الأمن»[4]. ومن واجب السـتراتيجية في مثل هذه الحالات البحث عن القـرار السـريـع واطـالـة الصـراع، إذا كان الـوضع يتطلب حصر الصراع أو توسيعـه. وفي حالـة عدم اتخـاذ القـرار السـريـع يمكن ان نعـرض نتـائج العمل العسكـري إلى الخطـر بسبب المضـاعفات السياسية واتساعها: وعملية السويس عام ١٩٥٦[5] تعتـبر مثـالاً حياً لمثل هذه الحال بل ومن المؤ سف أن هناك عمليات مماثلة أخرى (كذا)..

هـ ـ المعنـويـات والايـديولوجية: لقد اثارت الايديولوجيات مشاعر العديد من الشعـوب وأجَّجَتْها الى أقصى الحدود. وأصبح الوضع الدولي نتيجة لذلك في منتهى الحسـاسيـة. وفي هذا الجـو العـافي المتـوتـر غدا السلاح النفساني (السلاح

---

٤ ـ من الأمثلة على حروب التـدخـل، تلك الحملة الثـلاثيـة التي شنها كل من بريطانيا وفرنسا واسـرائيـل على مصـر في عام ١٩٥٦. والعمليـات الاسـرائيلة التي قامت بها اسرائيـل في عام ١٩٧٨ في جنوب لبنان.

أمـا عمليـات حفـظ الأمن، فالمثـال النمـوذجي عليها هو تدخل القوات المظلية الفرنسية والبلجيكية في زائير في عام ١٩٧٨ اثر الغارة التي شنتها الدرك الكاتنجي على منطقة كولووزي الصناعية في زائير.

(المعرب)

٥ ـ ان الاسف هو تعبـير عن رأي المؤلف وهـو بالطبـع ابعـد ما يكون عن الحياد، ولا يمكن ان نشـاطـره أسفـه ذلـك أنـه يأس على فشـل سياسة التدخل الاستعمارية بينما نقف نحن في الجهة المقابلة، التي يقتضي طبيعة وضعها تبني ستراتيجية مضادة فإذا كان «العدو المتدخل» يهدف إلى اجراء حرب سريعة خاطفة كان على الضحية ان تبحث عن كل الوسائل لمنعه من الوصول إلى هذا الهدف وذلك باطالة الحرب وحرمانه من اجراء معركة حاسمة، والبحث عن جميع الوسائل اللازمة لهذه الستراتيجية الدفاعية، ويمكن ايراد حرب الاستنزاف التي لجأت اليها سورية عام ١٩٧٣ بعد ان وافقت مصر على وقف القتال. (المعرب).

السيكولوجي) سلاحاً اساسياً يشكل تهديداً رهيباً على معنويات السكان في الحروب الحديثة.

وتبوأ هذا السلاح المكان الأول والمفضل في الحروب ذات الطابع الثوري، حيث تحل حرب الأنصار وعمليات التخريب والاغتيالات محل معارك الجيوش النظامية، وقد تكون مكملة لها في بعض الأحيان، بل وقد يكون الشكل الوحيد الذي قد يستخدم في وضع ما نظراً لفعاليته وكفايته بالنسبة للظروف القائمة. وقد يأخذ الصراع احياناً شكل التوتر الدائم المستتر، والذي لا يصحبه بالضرورة اراقة غزيرة للدماء. وهذه الحالة تعتبر مظهراً من مظاهر «الحرب الباردة».

ومثل هذه الحروب (الثورية) تتطلب مفاهيم ستراتيجية خاصة متلائمة معها، وتختلف تماماً عن الآراء الستراتيجية الكلاسيكية. ولكننا سرعان ما نكتشف ان «النقاط الحساسة» في الجغرافيا ـ السياسية تبرز في هذه الحروب بالضرورة كمعطيات أو كأهداف من الدرجة الأولى.

٣ ـ الصفات الحالية للستراتيجية

لا بد من تصور الستراتيجية في هذه الأيام على أساس المعطيات القديمة الدائمة، التي يضاف إليها بل وتختلط بها الشروط الجديدة التي أتينا على ذكرها. وهذه الشروط تؤدي إلى احداث تطور يؤثر مباشرة على مفاهيم الستراتيجية الحالية الممكنة وسنحاول استخلاصها تدريجياً.

رأينا فيما سبق كيف ان التقدم العلمي والتقني يزود الأسلحة الثلاث البرية والبحرية والجوية، بدرجات متفاوتة، بمميزات مشتركة: كالحركة والسرعة والمرونة وسرية الاستخدام، والاستقلال الاداري، والجاهزية الدائمة، والكاملة والسريعة لشبكات الاتصال السلكية واللاسلكية. كما رأينا أن القوات البرية تتجه نحو الحصول على المميزات التي كانت من الخصائص التقليدية للقوات البحرية والجوية. ومن الطبيعي إذن ان تتطور الستراتيجية العامة باتجاه بعض

الصفات النموذجية للقوى البحرية، وهي شروط تمليها المسافات الطويلة، والمساحات الشاسعة والسرعة وسرية الحركة، والانتشار الطبيعي، والحشد السريع من أجل القيام بعمليات عنيفة وقصيرة ومتجددة. كما تمليها أيضاً. الشئون الادارية[٦] المنتشرة والمتحركة.

ما الطيران فيلعب دوراً أساسياً لا سابقة له نظراً لكثرة وتنوع استخداماته في جميع العمليات ومراحل الحرب، وقد يكون هذا الاستخدام لمصلحته المباشرة أو لتقديم الدعم والتعاون مع القوى الاخرى البرية والبحرية، وادى هذا التطور إلى ان يصبح للقوى البحرية طيرانها الخاص لدرجة أنه لم يعد هناك في هذا السلاح إلا عمليات أو مجموعات بحرية - جوية.

والاسلحة الثلاث ترتبط ببعضها ارتباطاً عضوياً. وثيقاً لكي تؤمن حياتها نفسها وتضم فعالية عملياتها التي تتكامل وتتساند فيما بينها بشكل غير مباشر في الخطوط الأمامية، وهذا يتطلب تنسيقاً مستمراً في مستوى القيادات العليا، او بشكل مباشر اثناء تنفيذ العمليا المشتركة بين مختلف الأسلحة كعمليات الانزال مثلاً.

ومن المؤكد ان بعض العمليات تجري دائماً مستقلة تماماً عن اطار قوة ما (برية او بحرية أوجوية) كعمليات القصف الستراتيجي، الذي يقوم به الطيران أو الصواريخ أو الغواصات النووية قاذفة الصواريخ، أوكعمليات حماية الاسطول البحري، ومع ذلك فإن هذه العمليات المستقلة تدخل دائماً في إطار الستراتيجية العامة للحرب.

والخلاصة واعتماداً على ما رأيناه سابقاً، فإن الستراتيجية الحديثة يجب أن تبنى على المبادىء التالية :

---

٦ - La logistique ، لقد عمدنا إلى ترجمة هذه الكلمة الجديدة باصطلاح الشئون الادارية لصعوبة التعبير عنها بكلمة واحدة ولا ندري إذا كان المعجم العسكري قد وجد لها الكلمة الملائمة.

١ ـ ان ادارة الحرب في المستوى الأعلى هي من مهمة الحكومة بالتشاور مع كبار القادة العسكريين (ويمكن ان نسميهم بالستراتيجيين)

٢ ـ الستراتيجية العامة هي ستراتيجية الاسلحة المشتركة (برية وبحرية وجوية) وان تعقيدها وضخامة الوسائل المتوفرة حالياً، والترتيبات الضرورية المتنوعة التي لابد من اتخاذها منذ أيام السلم بما في ذلك الحرب النفسية، كل ذلك يستوجب وضع الخطط مسبقاً وبأقصى ما يمكن من الدقة بشكل يضمن عدم تبديلها بسهولة أو الاضطرار لتعديلها في اللحظات الأخيرة. ومن هنا تظهر القيمة الكبرى للأشياء والعوامل التي تبني عليها الستراتيجية ومن بينها العوامل الجغرافية السياسية المتنوعة التي تحتفظ بالمكانة التي كانت لها على الدوام.

٣ ـ الأهداف السياسية: لم تعد هذه الأهداف مقتصرة على الأهداف العسكرية فقط، بل تجاوزتها لتشمل كل ما يساعد بلد ما على الاستمرار بالنضال. وتلعب العوامل الجغرافية السياسية الدور الهام في اختيار هذه الأهداف وتصنيفها واعطائها الاسبقيات المناسبة.

٤ ـ حالة «الحرب الباردة» تقضي هذه الحالة ـ التي عاشها العالم لفترة طويلة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ـ بأن تتطور الستراتيجية العامة باستمرار حسب الظروف الجغرافية السياسية وان تحافظ على فعاليتها دائماً في حالة الحرب الساخنة، وان تبذل كل ما يمكن من المجهود للتنبؤ بهذه الحرب. وهذا هو دور «الستراتيجية في ايام السلم» التي تمارس تأثيرها عن طريق التهديد بقوة السلاح وبالوسائل غير المباشرة.

٥ ـ ان ادارة العمليات نفسها تكشف عن مفاهيم ستراتيجية جزئية ـ خاصة بمسرح هذه العمليات ولكنها تتشابك مع الستراتيجية العامة. هذه المفاهيم قد لا تهم سوى الجيش والقيادة التي تعمل في هذا المسرح، والمثال على ذلك هي العمليات الجوية ـ البحرية التي تجري فوق مسرح عمليات بحري.

٦ ـ ان قيادة القوات هي من اختصاص القيادة العسكرية حصراً في المجال التكتيكي وتكون هذه القيادة «برية» أو «جوية»، أو «بحرية» حسب الوضع

القـائم، كما يمكن أن تكـون القوات مختلطة احياناً: جوية ـ برية (أو منقولة جواً) وجوية بحرية أو برمائية.

٧ ـ وهذه المبادىء التي اتينا على ذكرها تصلح للأحلاف كما هي صالحة في الإطار الوطني، وبذلك تأخذ التشكيلات في القوات المتحالفة اشكالاً متداخلة أو متكاملة إلى حد كبير.

٨ ـ ومهما تكن «ابعاد النزاع»، لابد للستراتيجة من ان توضع دائماً في إطار اوسـع جداً يتجـاوز المنطقـة المعنيـة مبـاشرة بهذا النزاع، لأن مضاعفاتها تميل دائماً للإتسـاع ـ والـواقـع الـراهن يستـوجب النظـر للأهـداف في اطـار «سـتراتيجيـة كونيـة»[٧]، كان ذلـك بالنسبـة لادارة هذا النـزاع، أم من اجـل اخـذ مضـاعفاته ونتـائجـه بكل ابعادها بعين الاعتبار. والجغرافيا السياسية والجغرافيا الستراتيجية مؤهلتان لتحمل هذه المهمة بكفاءة عالية على جميع المستويات.

---

٧ ـ الاستراتيجية الكونية هي الستراتيجية التي تشمل كل انحاء العالم.

الفصل الخامس

محاولة لدراسة الستراتيجية

«ان كون الأرض كروية يعني انها لم تكن مدروسة بما فيه الكفاية من وجهة النظر العسكرية»

● الجنرال شاسان

١ ـ تداخلات الجغرافيا ـ السياسية

لا يمكن أن يكون الهدف النهائي للستراتيجية، من وجهة النظر العسكرية وحدها، إلا تدمير قوات العدو. وقد تأكدت صحة ذلك عندما لم تكن الحرب تجري إلا بواسطة الجيوش وتبقى صحيحة إذا كان الغرض فرض الاستسلام على على العدو بدون قيد او شرط.

ومع ذلك فإن المانيا في عام ١٩١٨، وايطاليا في عام ١٩٤٣، واليابان خاصة في عام ١٩٤٥، قبلت كلها الغاء اسلحتها واستسلمت دون قيد او شرط قبل ان تدمر قواتها المسلحة تدميراً اكملاً. وما هذا إلا لأن في عالم اليوم شروطاً سياسية واقتصادية ضرورية جداً لمتابعة الحرب. وانه في حالة تمكن طرف ما من المحافظة عليها يصبح مضطراً للإعتراف بالهزيمة.

وان العوامل الجغرافية السياسية الهامة تحدد معظم هذه الشروط وسنأتي على ذكرها فيما بعد.

وعلى الستراتيجية اذن الا تكتفي بادارة المعركة العسكرية الصرفة بل تسعى جهدها لبلوغ اهدافها الجغرافية السياسية لدى العدو، وان تؤمن حماية هذه الأهداف لدى الأصدقاء. ولهذا تحتفظ الستراتيجية بمكان يزداد أهمية يوماً بعد يوم ويجب ان يكيف باستمرار حسب الظروف العامة الجديدة.

وهذا التطور الدائم الذي يتم تبعاً للظروف، يجب أن يجري أيضاً في المرحلة التي اطلقنا عليها اسم «استراتيجية ايام السلم»، والتي تجدد في كل لحظة ستراتيجية الحرب. وتؤثر تأثيراً فعالاً على مواقف العدو المحتمل.

وان «الانتشار» المعروف و «الجاهزية» الدائمة للقوى الجوية (القاذفات البعيدة المدى او القاذفات الستراتيجية على الأخص) مثلاً هو بلا شك موضوع يستحق التفكير الحذر، ولكنه يجب ان يكون معروفاً (من العدو) لكي يعطي ثماره، وهذا بحد ذاته امر غريب في الزمن الحاضر. ولهذا فإن «ستراتيجية امن السلم» تكون اكثر فعالية بمقدار ما تكون أقل سرية بمفهومها العام، أما الكتمان فلا يكون إلا بأساليب وطرق التنفيذ، وقد يكون على العكس مطلقاً وشاملاً في أغلب الأحيان. وهذا صحيح أيضاً بالنسبة لتدابير «الردع» في الستراتيجية الحالية، فالصواريخ النووية العابرة للقارات، تكون دائماً جاهزة للإطلاق من قواعد متحركة فوق سطح الأرض أو من الغواصات تحت سطح البحر.

وتتأثر الستراتيجية بهذه العوامل المتغيرة للجغرافيا السياسية التي تعطي كما قلنا ـ للعالم صفاته الحالية. وفي طليعة هذه العوامل «المجتمعات الدولية» التي تسبب النزاعات. وحتى في الحروب الأقليمية المحدودة، التي تبدو للوهلة الأولى أنها تجري بين دولتين، نجد ان هناك امماً اخرى حليفة أو صديقة او متعاطفة تتدخل مباشرة أو بشكل غير مباشر، بالنزاع وتفرض على الطرفين القوة والضعف المعروفين عن الاحلاف.

وترجع اهمية الايديولوجية التي تشكل الملاط لبعض التجمعات، إلى أنها

تؤدي لنشوب حرب نفسانية (بسيكولوجية) نشيطة إلى جانب العمليات الحربيه وبالارتباط معها. والستراتيجية في مثل هذه الحالة ستكون مضطرة للتوفيق بين العمليات الحربية من جهة وبين «عمليات التخزين المعنوي» التي تتكفل بها الدعاية بين صفوف العدو، وبذلك تكون قد توخت هدفاً آخر غير «التدمير الكلاسيكي» لقوات العدو المسلحة. وهذا النوع من الأسافين الخطرة تنغرس بعمق اكثر في الشروخ المعنوية التي تم الاعداد لها بعناية وذكاء لكي تأتي منسجمة مع الشروط الجغرافية الستراتيجية الطبيعية[1]. ونؤكد على سبيل المثال لا الحصر، أنه لم يكن من السهل فصل ايطاليا عن المانيا عام ١٩٤٣ لو لم تكن تفصلهما بشكل طبيعي جبال الألب مما يزيد في صعوبة التدخل الألماني ووجه رقابة الرايخ الثالث على ايطاليا.

ومن ناحية أخرى فإن العمليات التي توضع خططها بغرض تدمير معنويات شعب ما تتطلب «تعييراً» شديداً، مبنياً على المعرفة الصحيحة للحالة العقلية والنفسية للسكان، لأن الخطأ في هذا المجال يؤدي إلى ردود فعل معاكسة تماماً للأهداف المرغوبة، كما برهنت على ذلك عمليات القصف الشديد للمدن في أغلب الأحيان، بل قد تؤدي مثل هذه الأخطاء إلى استحالة اقامة السلام في المستقبل على اسس سليمة وتعرضه إلى الخطر الدائم.

وقد يكون من المفيد العودة مرة اخرى للتذكير بأن الأهداف الرئيسية للعمليات الحربية هي هي قبل كل شيء: المنشآت الاقتصادية الهامة، والمراكز الصناعية والانتاج الحربي. وإذا وصل سوء حظ الانسانية إلى حد نشوب حرب

---

١ ـ تركز الحرب النفسية على التناقضات التاريخية والعرقية والطائفية، والفوارق المتنوعة مهما كانت ضئيلة لكي تحدث التصدع في صفوف الخصم وتقضي على تماسكه وحدته الوطنية وتمهد بذلك للهزيمة السياسية التي تعتبر اخطر وأبعد أثراً من الهزيمة العسكرية لما يترتب عليها من مضاعفات بعد الحرب. وقد ازدادت هذه الحرب خطورة بسبب التطور الهائل لوسائل اعلام الجماهير، والتقدم في ميدان العلوم الانسانية وخاصة منها علم النفس وعلم الاجتماع.

(المعرب)

جرثـومـيـة (أو كيـماويـة) في المستقبـل، فستكـون الـزراعة نفسها من بين أهدافها المفضلة، ومن المناسب ايضاً ان نذكر بالأهمية الحيوية لـ «مراكز القوة» التي يفضل احتلالها بدلاً من تدميرها إذا كان هناك أمل بالاستفادة منها أو ضمها نهائياً فيما بعد[٢]. وقد رأينا كيف ان السياسة «تلجم» الستراتيجية احياناً للوصول إلى مثل هذه الأهداف، على الرغم مما يبدو من فائد مباشرة تترتب على التدمير.

وأخيراً فإن النقـل واجهزة الاقتصاد الحساسة، وضخامة الشئون الادارية للجيـوش الحـديثة، يشكل عاملاً جوهرياً للستراتيجية. فقط خطوط المواصلات يؤدي إلى شل العدو في عملياته العسكرية وقطع التموين عن قواته وعزل المصادر الاقتصادية المكملة الواحدة تلو الأخرى، وان اختيار النقطة الملائمة للهجوم لكي يحدث مثـل هذا «القطـع» ذو صلة مبـاشـرة بالنقـاط الحسـاسـة التي تكشف عنها الجغـرافيـا السيـاسيـة: ويمكن ان يكـون لها صفـة طبيعيـة كالمضـائق والـبرازخ والممرات الاجبارية، او صفة اقتصادية كالمحطات والمرافىء.. الخ..

---

٢ ـ يجب ان نعترف ان العمليات العسكرية الاسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن، تجري كلها في اطار ستراتيجية عامة (سياسية ـ عسكرية) ذكية وتشكل دائماً جزءاً من كل متماسك ومتناغم. فاحتـلال مرتفـع معـين أو الـوقوف عند عقدة طرق، أو منبع مياه أو منجم أو بئر بترول، أو مدينة أو بقعـة صالحـة للزراعـة، كل ذلـك مبنى على دراسـة عميقـة وذكيـة لطبيعـة الأرض وامكانياتها وللعـوامـل الجغـرافيـة السيـاسيـة والستراتيجية. وان استعراضاً سريعاً للمراحل التي مرت بها الحـرب التي ادت إلى قيـام دولـة اسرائيل عام ١٩٤٨، ثم حرب السويس عام ١٩٥٦، وحرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، وحتى حرب تشرين اول ١٩٧٣ يكفي لاعطاء الدلائل الملموسة على أن القـوات الاسـرائيليـة كانت تخوض معـاركهـا لتحقيق اهداف معينة مدروسة ومصنفة بذكاء وتمهـد لها بحـرب نفسيـة ذكيـة جداً تستند إلى معرفة صحيحة لعقلية الانسان العربي وعواطفه وللتناقضات الداخلية في كل قطر من اقطاره، وكذلك التناقضات بين هذه الأقطار، وكل ذلك في اطار عام يأخذ بعين الاعتبار الوضع الاقليمي والاوضاع الدولية ويتحين حروبها وكأنها موقتة ومتلاءمة مع الجو الدولي والوضع العربي، متحقق منظم اهدافها إذا لم نقل كلها. (المعرب)

٢ ـ الدور الجديد للجغرافيا ـ الطبيعية

للعوامل الطبيعية الثابتة للجغرافيا السياسية اهمية بالغة جداً تستحق الدراسة بشكل خاص من ناحية ادوارها في الجغرافيا الستراتيجية.

ولهذه العوامل دور اساسي في الستراتيجية حتى وان لم تكن الأكثر اهمية، فمن المفيد مثلاً أن نبين كيف تحاول الستراتيجية التوفيق بين استخدام الأسلحة والوسائل الجديدة وبين شروط العوامل الطبيعية الدائمة. ونذكر في هذا المجال الفائدة الكبرى من زيادة الفراغ في «البعد الثالث» بسبب تطور الطائرة واسلحة الغواصات، وارتباط ذلك بالشروط الطبيعية. فاستخدام الغواصات يتوقف عمق البحار لأنها تحتاج الى عمق معين لكي تغطى بأمان كما لايمكن استخدام الألغام البحرية إلا على اعماق محددة ومن ناحية أخرى فإن الغواصة والألغام البحرية لا يستخدمان إلا في مناطق بحرية غزيرة الملاحة، وهذا يعني مناطق المضائق ومداخل المرافىء.

اما القوى الجوية فتبقى رغم كل تقدمها مرتبطة بمنشآتها وقواعدها الأرضية، وتموينها، وهذا كله يرتبط بالشروط الطبيعية أي بالموقع والتضاريس، كما تتوقف فعالياتها في الارتفاعات المنخفضة والمتوسطة بشكل دائم على بنية البلاد الطبيعية ومناخها؛ وهي لا تتحرر من هذا العامل إلا في الارتفاعات العالية.

وهكذا نعثر على قيمة جديدة لمواقع الطرفين المتخاصمين وبشكل خاص اولئك الذين كانت تفصل بينهم حواجز لم يكن بالامكان تجاوزها في الماضي واصبحت لا وجود لها بسبب الطيران.

ويمكن القول على هذا الأساس أن الولايات المتحدة الاميريكية والاتحاد السوفياتي اصبحا اليوم ـ بفضل قواتها الجوية ـ يقفان وجهاً لوجه على الرغم من وجود القطب المتجمد الشمالي الذي كان يشكل في الماضي حاجزاً يستحيل تخطيه.

وهذا التوسع في ميدان «البعد الثالث» (اوغزو الفضاء) يصبح رئيسياً

عنـدمـا يُنظـر اليـه من منطقـة قليلة الاتسـاع ، ومـع ذلك فإنه لا يبدل اطلاقاً من الطابع العام لجغرافية العالم الستراتيجية.

والواقع أن الطبقة الهوائية القابلة للاستخدام لا تشكل إلا قشرة رقيقة فوق سطـح الأرض، وبـاستثنـاء الطـيران الذي يعمل على الارتفاعات العالية جداً، فإن المنـاطق تحتفظ بمميزاتها بالنسبة للعمليات الجوية ـ بحرية، والجوية ارضية، لأن الطـيران يعـاني من التضـاريس والمنـاخ تمامـاً كما يعـاني المقـاتل العادي على الأرض وهـو يعمـل فوق البحـار كما يعمـل البحـار في المراكب الشديدة السرعة. ولكن الاساليب والتكتيك تختلف من سلاح لآخر، عند تكييفها للآلة.

وتمتـاز الـوسـائـل الحـديثـة بمكننـة العتـاد خاصة، مما يضاعف امكانيات الأسلحـة ليس في القتـال فحسب، بل وفي جميع الأعمال اللازمة لحملة عسكرية ما: فالطرق والخطوط الحديدية الخ، يمكن اصلاحها بسرعة كما يمكن الالتفاف بسهولة حول الحواجز الطبيعية او اجتيازها او سترها.

ولكن العوامل الطبيعية يجب حسابها دائماً، لأن المشاكل الناتجة عنها لا تزال تطرح على الأطراف المتنازعة كما ان التسهيلات التي توفرها تحتفظ بحسناتها.

وفيـما عدا ذلـك فإن الـوسـائـل تتطلب تنظيـماً دقيقـاً يؤمن الاعباء التقنية المتعددة، والتموين والتكديس بكل أنواعه، ويمكن القول ان «الشئون الادارية» للجيـوش تتأثـر مبـاشـرة بالعـوامـل الطبيعية مثل سهولة اقامة المستودعات والنقل والـدفـاع، الـخ. ويسـري هذا المبـدأ على الجيـوش الحديثة جداً. فالتضاريس الكثـيـرة التعـاريج مثلاً تجعل الأسلحة النووية أقل فعالية مما هي عليه في السهول الواسعة؛ ويلعب المناخ دوراً جديداً لأن الهواء يسوق الغيوم والغبار الذري المشع، كما يمكن ان يحمل الجراثيم والمواد الكيماوية الضارة. ولهذا لا بد من التفكير بأهمية المـواقـع المعـروفـة بتيـاراتها الهوائية المنتظمة وضبابها والمناطق المشهورة بالعواصف غربي المحيط الأطلسي.

ان الـدفـاع ضد الطـيران الـذي تزايـد سرعـة يجب أن يستنفـر في الـوقت اللازم، وهذا يتطلب شبكة للرصد البعيد جداً (أي شبكة رادار). وهذه المسافات

تتـوقف على ارتفـاع جهـاز الـرصـد وامـاكن تمركزه باتجاه العدو. وفي هذا المجال تلعب التضـاريس دورهـا. ويـزداد هذا الدور أهمية على الخطوط الأمامية: مثال ذلـك ان الـرصيـد من الأراضي السكندنافية يغطي الجزر البريطانية ضد الهجوم الجـوي القـادم من الشـرق، وعلى العكس فإن حياد يوغوسلافيا يجعل الأراضي الايطـاليـة مكشوفة، بينما تشكل الإراضي الايطالية غطاءاً فعالاً للجزء الغربي من البحر المتوسط غالباً ما يحاط بالكتمان.

ومن هنـا ايضـاً نلاحـظ احـدى النتـائـج المـترتبة على حياد بعض الدول المحيطة والميزات التي تتمتع بها مواقع «الجزر» بشكل خاص. فما هي انعكاسات هذه الـوقـائـع على السـتراتيجيـة أو بمعنى آخـر ما هي النتـائـج التي يمكن ان تستخلصها الستراتيجية منها؟

الحقيقـة أنـه لم يعـد هناك مبرر للهجوم على «جبهة» أو على «منطقة قتال» غير محدودة، ما دام الطـرفـان المتحـاربـان يملكـان التنوع بالاسلحة والوسائل مما يساعد على توجيه الضربة إلى أية نقطة من أراضي الطرفين، هذا بالإضافة إلى أن قوة الأسلحـة الحـديثـة تستوجب «الانتشار» باعتباره التشكيلة الفعالة الوحيدة للقـوات. وهـذا لا يعني انتشـار القـوات المسلحـة فقـط وانما انتشار وسائل تموينها وانتشار الصناعة والسكان في الحدود الممكنة.

وان الهـدف السـتراتيجي المـلائم للقنبلة النـوويـة سيكون أغلب الأحيان بعيداً ويشتمل على الموانىء والمطارات والمجموعات الصناعية والمدن الخ.

ومما لا شك فيه ان صدمة القوات البرية الرئيسية ستزيد من شدة المعركة في منطقـة محددة، إلا أن الانتشـار والحـركـة سيكون لهما دورهما وذلك بموج الاعمال وتسهيل الاستفادة من الأرض إلى أقصى حد.

أما في ميدان القتال، فلن يكون على الستراتيجية أن تنقل كتلاً كبيرة على المحـاور أو الطـرق العرضانية، بل سيكون تحت تصرفها عناصر (ووحدات) ذات قابليـة عاليـة للمنـاورة، مهمتهـا القيـام «بعمليات مائعة» تتخللها معارك قصيرة شديـدة العنف، يصعب الاشـراف المبـاشـر عليهـا. كما سيكـون من الضروري

الاعتماد على «لامركزية القيادة» وتبني ستراتيجية اقليمية او حتى محلية متلائمة تماماً مع المنطقة المعنية التي يجري فيها القتال.

وسيكون هدف الستراتيجية العظمى، خلق الأوضاع التي تتلاءم مع العوامل الجغرافية الستراتيجية المحلية، والمناورة من أجل الالتقاء فيها مع العدو والاشتباك معه.

ومن الجدير بالذكر ان «حالة النزاع المحلي» تتطابق الأوضاع التي أتينا على وصفها وان شكل «حرب العصابات» الذي هو احد صفاتها الأكثر وضوحاً، يؤدي إلى امكانية تواجد العدو في كل مكان، كما يؤدي إلى فقدان الأمن تماماً، ويخلق مناطق حربية متناثرة كبقع الزيت، وباستطاعته استغلال جميع الميزات الطبيعية للبلاد.

أما «الحرب الشاملة» فتجري في الإطار العالمي، ويجب التفكير فيها على هذا المستوى، بالنسبة للقتال نفسه، وللوسائل والأسلحة والأبعاد الطبيعية، كما يجب ان تضاعف جميع العناصر بالمقارنة مع شروط الحروب السابقة.

ولهذا يجب الا نتصور الستراتيجية العليا على الخريطة المفصلة لبلد معين، بل على «خريطة العالم»، وان نستوحي من الجغرافيا ـ الستراتيجية استنباط خطوط القوة والكتل الكبرى لوضعها على اللوحة الاجمالية، على ألا يركز الاهتمام على الأنهار الصغيرة أو الأقنية الثانوية بل على الأنهار العظمى والممرات الدولية الرئيسية. اما هدف الستراتيجية العليا فلن يكون منطقة معينة بل «بلداً بكامله» وقد يكون «قارة بكاملها»، وفي مثل هذا الوضع لا تعتبر الجزر الصغيرة (التي بحجم جزيرة مالطا مثلاً) وانما الجزر الكبرى كالجزيرة البريطانية أو كمنطقة افريقيا الشمالية.

وكما سبق وقلنا بأنه لن يكون هناك «مؤخرة» ولن يكون العمق الضروري للعمليات في حدود عشرات الكيلومترات بل بحدود مئات الكيلومترات، وان «البعد» الذي يسمح بتنظيم الشئون الادارية والفنية واجراء المناورة بالاحتياط

سيكـون اكثـر اتساعاً لدرجة قد يتجاوز معها احياناً مساحة بعض الدول الأوربية الكبرى (فرنسا، أو المانيا وانكلترا).

هذا وقد ازدادت مسافات نظام المواصلات بشكل يرتب على النقل جهوداً إضــافيــة ويحتــاج إلى تنظيم شبكــات اتصــال متعــددة ومعــدة، علماً بأن النقــل والاتصــالات الضــروريــة أيــام السلم تخضــع أيضــاً لنفس الشــروط الجغــرافية ـ السياسية لكل حلف.

ولهـذا سيكـون من المستحيـل تنفيـذ ستراتيجيـة واسعـة دون تحضير دقيق يتناول بشكل خاص جهازين اساسيين مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بالشروط الجغرافية، أمـا الجهـاز الأول: فهـو «تنظيم القيـادة» الذي يعتبر نوعاً من «التحديد» للظرف الجغــرافي ـ السيـاسي. وتنقسم القيـادة في «تمفصلهـا» وفقـاً لمســارح العمليـات المحتملة التي تحددها ـ كما قلنا آنفا ـ المناطق الجغرافية وتعطيها اسمها. وفي مجال الــترتيب التسلسـلي للقيـادة تؤخـد المصــالـح المختلفة للبلدان الواقعة في مسرح العمليات، ومساهماتها العسكرية (أي قوة كل منها الذاتية) بعين الاعتبار.

والجهـاز الثـاني: فيتعلق «بـالقـواعـد» وهي العنـاصـر الاساسية للسياسة العسكـريـة المتماسكة. و«القواعد العسكرية» الأرضية والجوية والبحرية يجب أن تكون بعيدة عن العدو المحتمل بقدر الامكان، كما يجب ان تكون قريبة منه بقدر الامكـان إذا كانت مهمتهـا دعم العمليـات الحـربيـة الهجومية، وأن توفر للقوات المحـاربة تسهيلات ادارية وفنية واقتصادية، وامكانيات دفاعية، وكل ذلك مرتبط ايضاً بالعوامل الجغرافية السياسية.

ومن هنا تكون الستراتيجية العليا كونية، اما مسرح العمليات نفسه فيجب أن يوضع في هذا الاطار الكوني، بسبب الارتباطات المتعددة للعالم الراهن.

ومن المفيد اذن استعمال وسائل الإيضاح البيانية التي تعطي فكرة صحيحة و «ناطقة» عن المناطق المعنية مهما كانت ضخامتها وموقعها من الكرة الأرضية. ولهذا فإن الخـرائـط قد تشوه الواقع عندما تغطي مناطق واسعة جداً، ولكنها تقترب من هذا الـواقـع بمقـدار ما يكـون «اسلوب العـرض» الذي بنيت على اساسه سليماً

ومـلائـماً للغـرض المطلوب. لذلـك لا بد من اختيـار «اسلوب العرض»[٣] الملائم للعامل الذي يلعب الدور الرئيسي في المشكلة المقصودة: كالتضاريس، والمواقع، والمسـافـات التي ترتبـط بطبيعـة الحـال بنـوع وحجم العمليات (الأرضية والجوية التكتيكية، أو الجوية الستراتيجية، أو الصواريخ، والعمليات البحرية السطحية، أو عمليات الغواصات. الخ)[٤].

أمـا استخـدام «البعـد الثـالث» في الفضـاء وتحت المـاء فيحتـاج ايضاً إلى ايضاحات (رموز) تدل على عناصر خاصة به وغير مشتركة مثل: التيارات الهوائية الشـديـدة جداً المـوجـودة في الفضـاء الخارجي على ارتفاعات عالية، أو التيارات والمغنـاطيسيـة والأقنية الصـوتيـة المـوجودة تحت سطح البحار وكذلك حرارة المياه الـخ.. ونحن لا نستطيـع هنا الاشارة بالتفصيل إلى أهمية هذه النقاط وضرورتها فذلك موضوع لبحث فني خاص.

٣ ـ استمرار المبارزة بين المحيطات واليابسة

يمكن اكتشاف صفات مشتركة لبعض الاحداث التاريخية الكبرى لازمتها عبر العصور. فالحروب الكبرى، والصراعات الطويلة التي تدوم عشرات السنين احيـانـاً فتشتمـل على عدة حروب وتهـدف إلى ايجـاد «توازن دولي» معين، تكاد تكون كلها بين قوتين احداهما بحرية والأخرى قارية (أمم أو احلاف) وتسعى القوة البحرية دائماً للحصول على حلفاء قاريين.

وقـد كان لتـوزيـع الأراضي والبحـار والـواقـع الخـاصـة بكل منها، عوامل ستراتيجيـة اسـاسيـة، ولا تزال هذه العـوامـل تلعب هذا الـدور مع تغيير في

---

٣ ـ Systeme de Projetion

٤ ـ يمكن المقارنة على الخريطتين المنشورتين في الصفحتين ـ ٩٤ ـ و ـ ٩٥ ـ بين الأبعاد النسبية للبلاد السكنـدنـافية، ولمنطقة شمال غرب افريقيا، وكذلك ابعاد الولايات المتحدة الامريكية، والاتحاد السوفياتي.

المستـويـات. فنحن نرى اليوم تحالفات متعارضة شملت مناطق بكاملها بدلاً من المواقع المحصنة (القلاع) القديمة: فدولة تركيا هي التي تشرف الآن على مضائق الدردنيل والبوسفور وليس «بيزنطة»(*) وحدها كما كان الأمر في الماضي البعيد.

وسيقتصر بحثنا هنا على «البنى» المبدئية، مشيرين إلى صفتين بارزتين من هذا التنـاقض الاسـاسي، الـذي سيبقى حقيقيـاً. عنـدمـا نلاحـظ أن «السيادة البحرية» انتقلت من انكلترا إلى الولايات المتحدة الأميركية، كما انتقلت «القوة القـاريـة» من ألمـانيـا إلى الاتحـاد السـوفيـاتي. كما يمكن القـول أن الطموحات الأسـاسيـة لا تزال على حالهـا. فالقوة البحرية تحتاج إلى موطىء قدم على القارة على شكـل بلدان ساحليـة حليفـة، بمثابة درجات بحرية ارضية، وتسعى القوة القارية للحصول على ممرات نحو المحيطات وتبذل اقصى الجهود لتصبح قوة بحرية.

ومن الجـديـر بالـذكر أيضاً أن الحالات النفسية والعقلية المختلفة تتوالد من الاجـواء المتجـابهـة التي اشـرنـا اليهـا في الجغرافيا ـ السياسية، وهي توجه الدولة القـاريـة نحـو المركـزيـة العسكـريـة، واستخدام القوة الكثيفة، بينما تدفع القوة البحرية لجمع الجهود التي تبدو مبعثرة ومستقلة بوسائل متعددة.

ففي «سـتراتيجيـة المـراحل المتتالية» يسعى الخيال الخصب لتعويض نقاط الضعف الأوليـة، امـا في «السـتراتيجيـة المـوحـدة» فتستهـدف القـرار السريع، وبـاعتبـارهـا «التـابـع المخلص لكلوزويتـز» فإنها تعتمد على التدخل قبل «نقطة الحد» التي سبق وتنبأت بها.

وهكـذا يلاحـظ أن الحـروب الكـبرى تجري بشكل متشابه تقريباً، حيث تكـون «القـوى القارية» دائماً مهاجمة وتحصل على نجاحات أولية كبيرة يخيل إليها في لحظة ما انها ربحت الحرب، ولكنها لا تلبث ان تخسرها في النهاية.

وفي كل الأحـوال يجب ان نتحفـظ من اعتبـار هذه المبـادىء قوانـين ثابتة.

---

* ـ ويعني هنا مدينة بيزنطة واستانبول التي كانت تعتبر موقعاً محصناً يشرف على المضائق.

فالمبارزة بين القارة والمحيط في حرب ما، تفترض استمرار هذه الحرب فترة من الزمن. ومما لا شك فيه أن الحرب النووية الشاملة لا يمكن ان تستمر إلا لبضعة أيام ومع ذلك فسيكون الدمار الذي ستحدثه رهيباً، غير أنه لا يمكن أن نستبعد تحولها بعد ذلك لتأخذ شكل الحرب الكلاسيكية، حتى مع استخدام الاسلحة النووية التكتيكية. أوفي حالة «النجاة» وملابساته من أجل فرض ارادة الطرف المنتصر على بقية اجزاء العالم التي كانت خارج الصراع.

ومهما يكن الأمر فإن العالم الحديث سيصبح بحرياً يوماً بعد يوم أو محيطياً (نسبة للمحيطات) على الرغم من تطور الوسائل البرية والجوية، لأن هذا العالم يعيش على المبادلات القائمة على المواصلات والنقل.

والقوة البحرية لا تقوم على الاساطيل الحربية فقط بل تحتاج للأساطيل التجارية لأن هذه لا بد منها لبسط النفوذ على المستوى الكوني. ويكفي للدلالة على ذلك ما نراه من الجهود الجبارة التي تبذلها الدول الكبرى لتوسيع اساطيلها، فالولايات المتحدة الأميركية اصبحت القوة البحرية الأولى في العالم وتسعى لكي تحتفظ بهذا المركز، ويليها في هذا الميدان الاتحاد السوفياتي الذي يطور اساطيله البحرية التجارية والحربية بسرعة مذهلة.

وفي السنوات الأخيرة بدأت الصين تتجه جدياً نحو البحار تحدوها القناعة التامة بأنه لا بد من السيطرة البحرية على المحيط الهادي من أجل السيطرة على نصف العالم الشرقي.

أما بالنسبة لبقية بلدان العالم فإنها بطبيعة قوة الأشياء ان لم تضطرها القوة للخضوع وقبول التبعية، فإنها مجبرة على اختيار شكل من أشكال القوة: ومما لا شك فيه حتى بالنسبة لدولة قارية كالمانيا لا بد لها من منفذ إلى البحار لكي تحتفظ باستقلالها ومكانتها في العالم.

٤ ـ التقنية، والحجم، والردع

تتحكم «التقنية» في الحياة الحديثة، وتحدد مستقبلها في جميع الميادين

الاقتصـاديـة والسيـاسيـة والعسكـريـة . . ويتم ذلك في جميع المستويات بدءاً من المؤسسات أو الشركات الصغيرة وانتهاء بالأمم.

فنحن اليـوم في عصـر الالكـترونيـات والحاسبات او العقول الالكترونية، وعصـرة الـذرة والسفن الفضائية . لم يعد التقدم متوقف على الاكتشافات العلمية بالمعنى التقليـدي للكلمـة، فحسب، بل بالاستخـدام المستمر للتكنـولـوجيا المتقـدمـة؛ واصبح من الضروري انشاء مجموعات تضم عـدداً من الأدمغة تعمل مشـتركـة في اطـار منظـمات أو مراكز ابحاث ضخمة للوصول بالبحوث إلى نتائج ملموسة وتحقيق منجزات قابلة للحياة والاستخدام.

وادت هذه الضرورات إلى ظهور مفهوم «الحجم» (Dumension) او «الحد الادنى» من الـوسـائل الفكرية والمالية والمادية والتي لا يمكن بدونها المحافظة على وتـيرة معينـة للتقـدم أو النضـال على الصعيـد العـالمي . ومن الطبيعي أن يكون «الحجم» من خصـائص البلدان العظمى، والاتحـادات الفعـالة للدول الصناعية المتـوسطـة كالبلدان الأوربيـة؛ وأن الاستقلال الحقيقي اصبح متوقفاً على امتلاك هذا «الحد الادنى» من الوسائل.

ومفهـوم «الحجم» أو الكتلة يفـرض نفسـه على الستراتيجية الحالية بنفس القـوة أيضـاً. ولقـد سبق أن ذكـرنـا بأن «الكتلة» يعطي «البعـد» الـذي يسمـح بالانتشـار والنجـاة، ويـوفـر الامكانيات للحركة. وهو وحده في مستوى الاسلحة الحديثة وامديتها وقوتها وكذلك مجموع الوسائل الضرورية في حرب حديثة هامة[٦].

---

٦ ـ يتضح من ستراتيجيـة اسرائيل العدوانية التوسعية التي ظهرت منذ حرب السويس، وحرب الأيام الستة والعدوان على جنوب لبنان، ومن نوع الأسلحة الحديثة التي تمتلكها، والايديولوجية التي تهتـدي بها، بأن تسعى للحصـول على نوع من «الحـد الأدنى». وهي تماطـل بكل الوسائل لتخفي هذا» الهـدف الـذي ينطبق تمامـاً على «نظـرية المجال الحيوي» الذي نادت به النازية في المانيا والفاشستة في ايطاليا.

(المعرب)

وهكـذا فإن «الحجم الجغرافي» ينضم «للحجم التكنولوجي» ليزيد تدريجياً من خطـورة الفـوارق بين قوة البلدان ويضـاعف من سيطـرة البلد الأكثر قوة. وفي ميدان الستراتيجية الكونية، اصبحت ضرورات الدفاع تستدعي اقامة الاحلاف بين «الـدول المتـوسطـة» التي تجابـه مثل هذه الضرورات، لأن العوامل الجغرافية الستراتيجية تفرض قيام المجموعات المتماسكة (المواقع الخاصة بكل من الاعضاء والاتصـال الممكن بينهـا)؛ ومن ناحية أخرى فإن الروابط المتينة بين جميع ميادين النشـاط، والتعـاطف الايـديولوجي تؤدي مجتمعة إلى قيام مجموعات دولية تكون بنفس الوقت احلاف عسكرية واتحادات سياسية واقتصادية قابلة للعمل الفعلي في اوقات السلم كما في اوقات الحرب. وان الوضع الدولي الراهن يضطر المجموعات القـائمـة في كل من «الكتلتين» الغربية والسوفياتيةللخضوع لزعامة الدولة الأقوى بينهـا، كما هو الـوضـع بالنسبـة للولايات المتحدة الأميريكية في حلف الأطلسي، ولـلاتحـاد السـوفيـاتي في حلف وارصـو، وتسـري هذه القـاعـدة ايضاً على بقية الاحلاف مثل الحلف المركزي وحلف جنوب شرقي آسيا، الخ..

وتسعى الصين جهدها في السنوات الأخيرة لتقيم حولها تنظيماً دفاعياً شبيهاً بحلف الأطلسي وحلف وارصو لأنها اصبحت من حيث «الكتل» العملاق العالمي الثالث. غير ان تخلفها الأولى اقتصادياً وتكنولوجياً وعسكرياً ساعد على تعرضها لبعض محاولات وتدابير «الاحتواء» التي وصلت احياناً إلى درجة الصدام المسلح تارة مع الـولايـات المتحـدة الامـيريكية[٧]، وتارة اخرى مع الاتحاد السوفياتي[٨] والـواقـع ان الصين لم تمتلك «الحجم» الاقتصادي الضخم والتكنولوجي المناسبين

---

٧ ـ كان الصدام بين امريكا والصين مباشرة على ارض الصين من خلال دعم امريكا لشان كاي شيك، ثم في حرب كوريا، وحرب فيتنام. (المعرب)

٨ ـ كان ذلـك اثنـاء اشتبـاكـات الحـدود، ومن خلال دعم الاتحـاد السـوفياتي للهند اثناء خرق الصـين لحدودهـا، ونـراه اليـوم من خلال الاشتباكات بين فيتنام الديمقراطية وجمهورية الكمبرا كمبوديا التي تساندها الصين. (المعرب)

لكتلتها الطبيعية والبشرية الماثلة، غير ان الامكانيات والمقاومات التي تختزنها هذه الكتلة تعـزز قوتهـا النـوويـة التي تعمـل على انجـازها لتجعل من كل ذلك خطراً حقيقياً تخشاه الكتلتين المعروفتين.

ويمكن الاعتقـاد ان امتـلاك الـدول المتـوسطـة للقـوة النووية يضعف من فضـائـل «الكتلة» لدى الدول الكبرى. فمن الواضح جداً في المجال الاقتصادي على الأقل ان الدول المتوسط المتطورة استطاعت المحافظة على قوتها الخاصة فهل يمكنهـا ذلـك في المجـال العسكـري؟. صحيح ان الأسلحة النووية الستراتيجية توفر لصاحبها «سلطة ردع» لا بد لأي خصم مهما كانت قوته ان يحسب حسابها، غير ان «الـردع» نفسـه يبقى نسبيـاً، لأن التخـريب الضئيـل الذي يحدثه الهجوم النووي على «بلد عملاق» لا يقضي على امكانيات «الرد». اما البلدان المتوسطة والصغيرة فتكفي «رشقة نووية» واحدة لتدميرها والقضاء على امكانياتها..

ومـع تقيـدنـا بعـدم اعطـاء حكم قطعي بقيمـة اسلحـة الـردع النـوويـة الستراتيجية، إلا أن ذلك لا يتعارض مع ابداء بعض الملاحظات في هذا الموضوع.

فقبل كل شيء يجب الا نعتقد بأن حيازة هذا السلاح اصبحت امراً نهائياً، وكذلك الأمر بالنسبة لمستلزماتها العسكرية الضرورية ووسائل الحماية الملائمة لها، ذلك أن هذه الأشياء كغيرها تخضع لقانون التقدم التكنولوجي العنيد. وان كل ما يبدو الآن فعالاً ليس من الضروري ان يبقى كذلك في الغد. وعليه فإن الجهود التقنيـة والصنـاعيـة المستمـرة هي في النهـايـة اعظم أهمية واكثر كلفة من «القنابل النووية» نفسها لأنها تحدد قيمة نوع السلاح وهي وحدها تتطلب «الحجم».

هذا بالإضافة إلى أن «الردع» لا يلغي خطر الحروب المحتملة، خاصة إذا كان الخصم المحتمـل الأكـبر موجـوداً على نفس القـارة وعلى مسافات أصبحت ضئيلة بالنسبـة للأسلحـة الآليـة الحـديثـة: وبـذلك يصبح الردع من اختصاص اسلحـة اخـرى قادرة على ايقافها، وهذا يتطلب توفر الاسلحة النووية التكتيكية المـوجهـة بشكـل ذكي وفعـال يتـلاءم مع الشروط الجغرافية الستراتيجية. واذا ما

اهملت هذه الشروط فان «المهاجم الجبار» يمكن ان يفضل عاملاً يرد على بعض الطلقات النووية واعتبارها شيئاً مقرراً مسبقاً؛ وتقدير أن الاحتلال السريع والشامل للأراضي خاصة الفنية وهي سليمة ستعوضه في المستقبل عن الدمار الجزئي الذي اصابه من جراء هذه الطلقات التي اشرنا اليها. . كما يمكن ان تجري الامور على غير هذه الصورة إذا كانت القدرة على التدمير النووي متساوية لدى الطرفين وخاصة عندما يشكل احد المحيطات نوعاً من الحماية في وجه الهجوم العسكري المركز المستدرج، أو ضد الضربات المتلاحقة العنيفة. . وعلى كل حال، يجب الا ننسى بأن اكبر الدول مهما بلغت اسلحتها النووية من القوة والقدرة على الردع لم تتوقف لحظة عن تحسين وتطرير اسلحتها الكلاسيكية حتى كان موقعها الجغرافي نطاق الهجوم البري المباشر.

وأخيراً فقد اصبح من المعروف لدى الجميع ان قرار استعمال الاسلحة النووية مسئولية رهيبة تقع على عاتق السلطة السياسية الدنيا وحدها، وما من دولة في هذه الأيام، يمكن أن تقدم على اعلان الحرب النووية الشاملة دون ان تحصل على الموافقة الاجماعية المسبقة والضمنية والمعنوية لشعبها. (ويمكن ان نستثني الصين من هذه القاعدة) وهذا يفترض تضامناً وانسجاماً أدبياً لهذا الشعب الذي يتوقف عليه الموافقة على عملية الردع، وهنا تبرز اهمية الصفات القومية الأساسية لشعب ما، ونحن نرى على سبيل المثال كيف أن الاتحاد السوفياتي يكرس الجهود الجبارة لتثقيف الشعوب السوفياتية بالاعتماد اساساً على الشبيبة والمنظمات شبه العسكرية. ولا تسير الامور على هذا المنوال في اطار المجموعات الدولية الأخرى، حيث يصعب اتخاذ قرار الردع بالاجماع اللهم إلا اذا وصلت المصالح المتشعبة والآراء المشتركة الى درجة توحيد موقف اعضاء هذه المجموعات.

٥ ـ الجغرافيا السياسية ـ والجغرافيا ـ الستراتيجية

إذا كانت مطامع الدول الحديثة لم تعد تستهدف اطلاقاً الاستيلاء على

أراضي الخصم لضمها نهائياً، فإن رغبتها بامتلاك القوة لم تتبدل. وهي لا تحتاج اليوم لفرض هذه المطامع بقوة السلاح، لأنه اصبح بامكانها فرض اشرافها العسكري والاقتصادي، أي الاشراف السياسي، بشكل مباشر اوغير مباشر دون اللجوء للسلاح، ومع ذلك فإن هذا الاشراف يبقى فعالاً ويمارس تحت شعار الاستقلال الوطني الذي لا يتجاوز حدود الشكل وليس له في الواقع أية قيمة حقيقية، والأمثلة على ذلك كثيرة ومعروفة لدرجة يصعب حصرها. وان متانة وقوة المجموعات الدولية تتوقف على العناصر الأساسية التي بنيت عليها (الاقتصادية والعسكرية والايديولوجية الخ . .) والتي تستند بدورها على العوامل الجغرافية السياسية والستراتيجية الحاسمة.

وان العلاقة الوثيقة بين الفهم الصحيح لهذه القوى من جهة وحسن استثمارها من جهة اخرى تجد اهميتها لتحقيق التشابك والانسجام المتبادل بينها.

وصحيح أيضاً أن الوسائل الحديثة والاسلحة النووية تحدث تعديلاً عميقاً في معطيات المشاكل، إلا أن الأحداث تذكرنا بانتظام بالأهمية الجوهرية للعوامل الجغرافية التي طالما اثبتها التاريخ، ومع ذلك فإنه من الأفضل أن تفهم القوى على أساس الوقائع الراهنة. ولكي نقترب اكثر ما يمكن من الشيء الذي يهمنا فإننا سنورد بعض المعطيات التي ابرزتها الأزمات الجديدة وبرهنت على تحكمها بالتوازن الدولي بين الغرب والكتلة السوفياتية ومع ذلك فقد اعتاد الناس على التقليل من اهميتها:

فالموقع القديم المعروف تحت اسم «الرباعي البوهيمي Quadrilatère de Bohême»، والذي يشكل المفتاح الستراتيجي لاوربا الوسطى، طواه النسيان منذ مؤتمر ميونيخ(٩) (ليس بالنسبة لجميع الناس بالطبع)؛ والسيادة على البحر المتوسط

---

٩ ـ تم انعقاد مؤتمر ميونيخ في ٢٩ ايلول ١٩٣٨ بناء على مبادرة من نيفيل نشامبرلن رئيس الوزراء البريطاني آنذاك. وحضره كل من ادولف هتلر زعيم ألمانيا. وموسوليني زعيم ايطاليا، وادوار دالادميه رئيس وزراء فرنسا. وقد وافق المؤتمرون على جميع طلبات هتلر المتعلقة بضم المناطق التشيكية التي تعطيها مواطنون من اصل ألماني، كما ضمن هتلر ايضاً الموافقة على مطاليبه .

والأمن الضروري للمواصلات البحرية في داخله، والاستعمال المحتمل والممكن للقواعد الموجودة بين مصر والمرسى الكبير في الجزائر، كل هذا أيضاً يقال عنه أنه عديم الفائدة؛ وعلى صعيد آخر، ولكنه مرتبط بسابقاته، نجد «موقع الجزر البريطانية، لا يفقد أهمية إلا ببطء شديد على الرغم من تحول بحر المانش إلى قناة ضيقة. . الخ. . وفي اعتقادنا انه ليس من الضروري الاشارة إلى مضاعفات هذه الحقائق الجديدة على تطور الاحداث الدولية ونتائجها في العالم الغربي، وكذلك التحكم بهذه المضاعفات وما ترمز اليه في الجهة المقابلة.

في الأراضي الهنغارية والبولونية. وخيل لتشابرلان أنه انقذ السلام العالمي بهذه التنازلات ولكن هذا التراجع المخزي من قبل الدول الغربية (وخاص انكلترا وفرنسا) امام الدكتاتور هتلر، وتخليها عن التزاماتها تجاه اصدقائها وحلفائها من دول اوربا الوسطى افقدها سمعتها وشجع الدكتاتورين هتلر وموسوليني على التمادي في الطموح وادى ذلك بالنهاية إلى نشوب الحرب العالمية الثانية. ومنذ ذلك الوقت اصبح اسم «ميونيخ» يعبر عن الخيانة الدبلوماسية والانتهازية في السياسة الدولية التي لا تقترن بأية نتيجة ايجابية.

الفصل السادس

الوجه الجغرافي الستراتيجي للعالم الحالي

«إن القوى الاندفاعية تمارس دائماً بنفس الاتجاه»

ماكندور

إن كل ما تقدم يحملنا على دراسة الوجه الجغرافي الستراتيجي للعالم الحالي وذلك بالاستناد الى أحد النماذج الجغرافية ـ السياسية التي اتينا على ذكرها. وفي اعتقادنا ان نظرية ماكندور هي اكثر هذه النماذج اغراء لأنها تبرز التقسيمات الأساسية التي تتطابق في اطارها الكوني مع تقسيمات الزمن الحاضر. ولكن الواجب يقضي بتسجيل الوقائع الاساسية للجغرافيا ـ السياسية على هذه اللوحة الخلفية الثابتة لكي تعطى لهذه اللوحة معناها الحالي. ويجب أن نعترف سلفاً أن هذه الوقائع سوف تبقى خاضعة لمدة طويلة أيضاً الى حقيقة تقسيم العالم الحالي بين «الكتلة الشيوعية» ومايسمى «بالعالم الحر» (الذي يتألف من الكتلة الغربية والعالم الثالث)[1].

---

١ ـ ان النظرة الموضوعية لما يسمى بالعالم الثالث لاتؤدي الى نفس النتيجة التي وصل اليها المؤلف من اعتبار هذا الجزء من العالم تابعاً لكتلة الغربية. كما لايمكن اعتباره جزءاً من الكتلة

صحيـح أن «مفهـوم الكتلة» أو الكلمة نفسها ليس لها نفس القيمة المطلقة هنـا وهنـاك، وإن تعـريف العـالم الثـالث ابعـد ما يكون عن الجمود، إلا أن هذه التسميـات أصبحت دارجـة على ألسنـة النـاس ومعـترف بها وسـوف نعمـد إلى استخـدامهـا تحريـاً للسهولة. ومن المناسب قبل كل شيء أن نستعرض نتائج هذا التقسيم في اطار لوحتنا الجغرافية الستراتيجية.

فكتلة «الجـزيـرة الكـونية» World island التي عرفها ماكندور تكاد تكون في مجملهـا تحت سيطـرة العالم الشيوعي من الستار الحديدي غرباً إلى المحيط الهادي شرقـاً، ولكن محيطهـا ـ باستثنـاء الصـين ـ يتألف من بلدان «التخـوم البحـرية ـ الأرضية» العائدة للعالم الغربي أو العالم الثالث.

وهكـذا نجـد أن الوحدة الطبيعية لـ «اوراسيا» تتدعم بوحدة ايديولوجية في ظل المـاركسيـة. غير أن التـمايـز بين أوربـا وآسيا لايزال قائماً على الرغم من هذه العـوامـل. وان القطيعة بين الشيوعية الصينية، والشيوعية السوفياتية تتفق بشكل غريب مع العـداوات العـرقيـة والقومية القديمتين، وهذه أيضاً تستند الى الوقائع الجغرافية السياسية.

ولا يزال البحـر هو الصلة الطبيعيـة الـوحيـدة روحياً ومادياً بين أجزاء العالم الحر المبعثر جداً.

«والجزيرة الامريكية العظمى» هي القطعة الرئيسية في العالم الحر عامة وفي الكتلة الغربية خاصة، وهي تقف بمواجهة «اوراسيا» من الشرق والغرب والشمال عبر المحيـط الأطلسي والمحيـط الهـادي والمحيـط المتجمـد الشمالي، وبين جزئيها الشمالي والجنوبي تشكل «امريكا الوسطى» احدى المناطق الوسيطة غير المستقرة، بل هي احـدى نقـاط الاتصـال العـالمية التي تعج بالدول الصغيرة. ونظراً لكونها

الشيـوعيـة، وعلى الـرغم مما يكتنفـه الآن من تخلف وضعف ومـا يدور في داخله من منـازعات وارهـاصـات، فإنه باعتقادنا يمكن ان يقوم بدور المرجح بين الكتلتين الهائلتين او من «العمالقة» الذين يتطلعون «بنهم ظاهر» إلى تقاسم النفوذ والتسلط على هذا العالم. (المعرب)

«مفصلا» شديد الحساسية، فإنها تعتبر هدفاً دائماً لستراتيجية الخصم حتى في زمن السلم. ويمكن اعتبار «كوبا» أكبر دليل على ذلك لأنها أصبحت بمثابة «الورم السرطاني» في مفصل الجسم الأميركي الكبير.

أما بلدان العالم الثالث فتتضامن في اطار الحياد المتأرجح بين الكتلتين، وتحتل شريطاً عريضاً من الكرة الأرضية يغطي «اوراسيا الجنوبية» والجزء الأعظم من افريقيا، وفي وسط هذا العالم يقع «المفصل الحساس وغير المستقر المعروف باسم الشرق الأوسط». واذا نظرنا للعالم الثالث من الشرق الى الغرب لاحظنا أن هذا الشريط يصل الى النتوء الغربي للقارة الافريقية.. ويكون بذلك أقصر الطرق وأفضلها باتجاه المفصل الغربي، بالنسبة للخصم الذي لايسيطر على اوربا الغربية. أما اذا نظرنا اليه بالاتجاه المعاكس يصبح نفس الطريق الذي مونت بواسطته امريكا بين عام ١٩٤٢ ـ وعام ١٩٤٥، البلدان الحليفة في الشرق كما مونت الاتحاد السوفياتي عبر هذه البلدان.

واخيراً فإن نفس الطريق الذي تحاول الستراتيجية السوفياتية «تعليمه» على مراحل بمحاولتها التسلسل الى سورية، ومصر، والسودان وغينيا ثم كوبا[٢].

ومن الجدير بالذكر أن نقطتي الاتصال الاميركية «امريكا الوسطى» الافرو آسيوية «الشرق الأوسط» تختزنان في باطنها كميات هائلة من احتياطي البترول في العالم وهذا وحده يكفي لكي يجعل منهما اهدافاً من الدرجة الأولى لكل ستراتيجية كونية.

واخيراً لابد من ابداء ملاحظتين هامتين بالنسبة للعالم الثالث:

---

٢ ـ ان هذا الطريق التي يشير اليها المؤلف تعود إلى فترة الخمسينات والستينات من هذا القرن، وان القاء نظرة فاحصة على خريطة العالم في السبعينات تظهر مدى التبدل السريع الذي يطرؤ على هذا الطريق الستراتيجي الكوني بالاتجاهين، نتيجة للتنافس المستمر بين العمالقة. (المعرب).

١ ـ من الناحية السياسية: لم تكن الافكار هي الأساس الذي بنيت عليه هذه المجموعة الدولية. ولكنها اقيمت على العواطف التي تشكل نوعاً من الايديولوجية السلبية، ولهذا فهي معرضة للزوال مع الاسباب التي اوجدتها وهي الاستعمار. كما أن «الوحدة الاسلامية» تلعب فيها دوراً جزئياً. ومع ذلك فإنه لن يكون في مقدور هذين العاملين (العداء للاستعمار، والاسلام) دفع العالم الثالث كلياً أو جزئياً باتجاه هذه الكتلة أو تلك وفقاً للظروف.

٢ ـ من الناحية الاقتصادية: ان الشروط الاقتصادية. تمليها الحياة نفسها والرغبة بالازدهار ان امكن والعالم الثالث يرتبط بالمواصلات الخارجية والبحرية منها على وجه الخصوص، كما ينقسم طبقاً لانقسام المحيطات التي ينفتح عليها.

اما الشروط العسكرية والعملياتية والادارية فإنها تفرض نفس التقسيمات الستراتيجية من أجل نفس الأسباب.

وعلى ضوء هذه الملاحظات التي لابد للستراتيجية الكونية ان تدرسها بما يتفق مع ثلاثة مناطق كبرى تحمل كل منها اسم احد المحيطات. وهذه المناطق هي:

ـ المنطقة الأطلسية. منطقة المحيط الهادي ومنطقة المحيط المتجمد الشمالي.

ويمكن أن نلاحظ أيضاً أن كلاً من هذه المناطق الثلاث تفرضها مجموعة من المعاهدات التي تجسد تتناسب مع أهمية المصالح التي تتصارع فيها.

ومن المعروف أن التقسيم الذي تبنيناه في هذا البحث يتناسب مع نظرة شاملة وعامة جداً للكرة الأرضية، وان الدراسة الكاملة ستضيف اليها بالطبع تقسيمات اخرى اكثر تفصيلاً ولكننا لن نتعرض إليها في اطار هذا الكتاب المحدود.

١ ـ حدود المناطق:

(انظر الشكل ـ ٤ ـ والشكل ـ ٥ ـ الصفحتين ١٢٢و١٢٣

إن منطقتي المحيط الأطلسي والمحيط الهادي، مفصولتان عن بعضهما

بالقارة الاميركية من كندا حتى أرض النار La terr du Feu [٣] من جهة، وبالخط الـذي يصـل بحر كارا La Mer KARA [٤] برأس الرجاء الصالح عبر الادرال وبحر قزوين وبغداد وبحيرة فكتوريا.

اما منطقة المحيط المتجمد الشمالي فتشغل الدائرة القطبية، باستثناء شبه الجزيرة السكندنافية حتى البحر الابيض أوذلك الجزء المتحرر من الجليد ـ بفضل التيـار السـاخن المسمي غولف ستريم Gulf Stream ـ الـذي يوصلهـا بالمحيـط الأطلسي.

والمنطقـة الأطلسيـة تغطي البحـار الـداخليـة، كبحـر البلطيـك، والبحـر الأبيض المتوسط، والبحر الأسود.

أمـا منطقـة المحيـط الهـادي فتضم المحيط الهندي، وهذين المحيطان متصلان ببعضهما من كل النواحي[٥].

(انظر الخرائط على الصفحتين ١٢٢ـ١٢٣

واذا كان من الطبيعي أن يسعى مثـل هذا التقسيم ليكـون منطقيـاً، إلا أنه مع ذلـك يبقى كيفيـاً على مستوى الأمكنة، فهويقسم الاتحاد السوفياتي والشرق الأوسـط الى قسمـين، بينـما يشكـل كل منهـما مجموعة جغرافية متماسكة واحدة. ولكن يتفق في الاتحـاد السـوفيـاتي على التقسيم التقليـدي الـذي يميز بين روسيا الاوروبيـة وروسيـا الأسيـوية، اللتان لم تتوحدا عبثاً، أما الشرق الأوسط فهي ملتقى طرق عالمي ونصفـه الشـمالي الغـربي كان منجـذباً على الدوام الى البحر الأبيض المتوسط. بينما يتجه نصفه الجنوبي الشرقي نحو الهند والشرق الأقصى[٦].

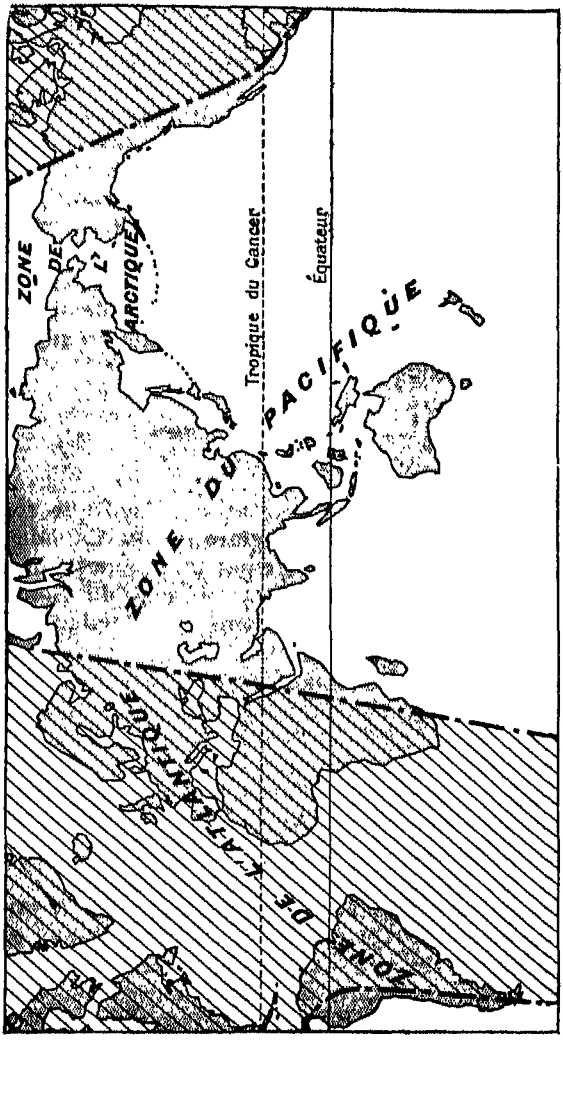
---

٣ ـ النقطة التي تقع في اقصى الجنوب من امريكا الجنوبية وتسمى Tierva Delfugo

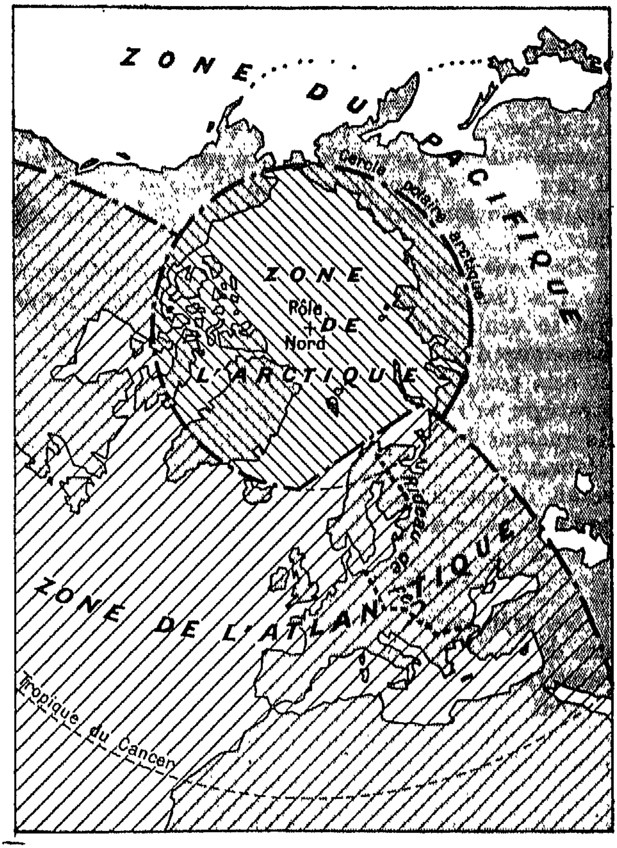
٤ ـ بحر كارا يقع في شمالي الاتحاد السوفياتي بين بحر بالانت وبحر ليبتف.

٥ ـ يتجنب المؤلف ذكر المحيط العربي الذي يقع جنوب شبه الجزيرة العربية بين سواحل افريقيا والمحيط الهندي.

٦ ـ لعل هذا التوزيع ايضاً يفتقر إلى الدقة ولا يخلو من الغرض، لأن هذه المنطقة ذات حضارة عريقة وعالمية ومفتوحة على كل الجهات دون أي تأثير ظاهر من النوع الذي يذكره المؤلف.



شكل ـ ٤ ـ
منطقة الأطلسي والباسفيكي



شكل ـ ٥ ـ

منطقة البحر المتجمد الشمالي

ومهما يكن هذا التقسيم الجغرافي، فمن الضروري ألا ننسى اطلاقاً الترابط المتبادل بين البلدان، الذي لايمكن أن تلغيه كل التدابير المصطنعة المناقضة للطبيعة.

والمناطق الكبرى الثلاث تشتمل على بلدان حيادية فعلاً (مثل سويسرا

والسويد) وبلدان من العالم الثالث تسعى كل جهدها لتكون «غير منحازة»، إلا أن ميول كل بلد منها يختلف باختلاف الظروف ولهذا الأمر أهمية في المراحل التحضيرية لستراتيجية زمن السلم، غير أن الحرب اذا استمرت لفترة طويلة لن تسمح لهذه البلدان بأن تبقى معزولة عن الصراع وسيكون خيارها خاضعاً ـ اذا لم يكن مفروضاً ـ لمكان موقعها في الاطار الجغرافي الستراتيجي الكوني.

٢ ـ الترابط المتبادل بين المناطق:

تضم كل من المناطق الكبرى الثلاث التي أتينا على ذكرها جزءاً من «الدولتين العملاقتين» اللواتي يتبوأ كل منها الزعامة في المعسكر التابع لهما (وهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي). وسوف نرى ان الأحزمة المحيطة بكل منها تلعب دوراً مماثلاً.

١ ـ امريكا:

فالولايات المتحدة الامريكية تشكل مع كندا ـ المرتبطة بها من كل النواحي ـ كتلة منسجمة طبوغرافيا، ولكن بنيتها الداخلية متنوعة جداً، فالجزء المركزي منها ذو الطبيعة القارية نسبياً يحتفظ بميول انعزالية ويهتم بهذه المنطقة أو تلك حسب الاحداث ومضاعفاتها على حياته الخاصة.

وعلى عكس ذلك فإننا نجد الاجزاء الشرقية والغربية ذات «طبائع محيطية» جداً ولها افكارها ونشاطاتها التي تشد كل منها أو الشرق الأقصى طبقاً لموقعه.

وتربط قناة بنما بين هذين الجزئين بالاضافة للطرق الجوية والبرية. فتساعد على انتقال الاساطيل البحرية الامريكية لسهولة من محيط الى آخر. ومن المعروف أن هذه الأساطيل تشكل مع القوى الجوية العناصر الاساسية لقوة الولايات المتحدة الامريكية العسكرة. والقناة تشكل نقطة ستراتيجية جوهرية وبالتالي فهي هدف حيوي من الدرجة الأولى.

وعلى الرغم من المسافات والتنوع الداخلي للولايات المتحدة الامريكية الا

انها تحتفظ بصفة «جزيرية» أكيدة. وتعتبر لذلك قوة عسكرية بحرية نموذجية، خاصة وأنه لايحيط بها بلدان عدوة على أرض نفس القارة. وان قواتها البرية المسلحة مدعوة دائماً للعمل في مناطق «ماوراء البحار» حتى ولو كان ذلك على أرض القارة نفسها. ولهذا السبب فإن القوى الجوية، والقوى البحرية بشكل خاص بها في ذلك المشاة البحرية، تلعب دوراً أساسياً في العمليات التعرضية وفي تأمين النقل الضروري. لاقتصادها الهائل ولحاجاتها العسكرية. وان المرونة وسرعة الحركة المدعومة دائماً بلاسلحة الحديثة تميز هذه القوات التي تقف باستمرار على أهبة الاستعداد للعمل في المناطق البعيدة.

والواقع النووي لا يتناقض مع هذه الصفة فبالاضافة للصواريخ العابرة للقارات، نرى أن قواتها الرادعة وقواتها الضاربة ـ عند الاقتضاء، تتألف من الطيران الثقيل، ومن حاملات الطائرات والغواصات النووية القادرة في كل لحظة على اطلاق قذائفها النووية على أية نقطة من الكرة الأرضي.

اما من وجهة النظر الدفاعية، فإن الخطر يهدد بشدة عناصر هذه القوة نفسها أولاً: بسبب التمركز الصناعي والبشري في الجزء الشمالي الشرقي وعلى الشواطىء المطلة على المحيط الهادي فيجعل منها اهدافا مثالية للهجوم النووي، وثانياً بسبب المواصلات البحرية الحيوية. وهذا يعني أنه لابد للولايات المتحدة الامريكية من الاحتفاظ بالسيادة البحرية والجزيرة الامريكية الماثلة (أي القارة الامريكية) محرومة من حزام الجزر على المحيطين الأطلسي والهادي وعلى مستوى الستراتيجية العامة، فإن الأرض الجديدة La Terre neuve ملتحمة مع القارة وان سلسلة جزر الأنتيل تكاد تكون متصلة ببعضها البعض شأنها بذلك كشأن البرزخ الذي تشكله أمريكا الوسطى. أما جزر الهاواي من ناحية وجزر برمودا والسلفيرا من الناحية الأخرى فتعتبر «شواخص» ثمينة، ولكن عزلتها تحدد من امكانياتها، وعلى العكس فإن احتلالها من قبل العدو المحتل سيشكل في حالة حدوثه خطراً جوياً على امريكا. وفي الشمال توفر غروئنلاند والجزر الكندية مواقع متقدمة، ولكن المناخ القطبي القاسي في كل منها يشكل معوقاً جوياً. كما أن افتقار امريكا

للجزر يزيد في الفعالية الدفاعية للعزلة الامريكية ولكنه لايعطيها أي «بعد» لتغطية اراضي القارة ضد الهجوم الجوي : لذلك نرى ان الولايات المتحدة الامريكية تبذل جهوداً جبارة لسد هذه الثغرة ، عن طريق استخدام «الجزر العائمة» التي تشكلها بعض الكتل الثلجية المتجمدة ، كما تبني جزراً صناعية تزرعها في عرض المحيطات مقابل شواطئها وتنصب فوقها محطات الكشف والانذار الالكتروني البعيدة المدى ، كما تستخدم بعضها لاقلاع الطيران العمودي[٧] .

وأخيراً فإن شبه جزيرة الاسكا التي تكملها مجموعة جزر الاليوتين Aleoutiennes تشكل موقعا ستراتيجياً هاماً . بسبب جوارها المباشر للاراضي السوفياتية (عدة كيلومترات فقط عند مضيق برنك) وبسبب ما تسمح به من اشراف على مضيق بهرنغ ، هذا الممر الاجباري للطريق البحري الذي يصل «مورمانسيك» بـ «بقلاديقوسنك» عن طريق الشمال ، كما تشكل قاعدة جوية هامة نظراً لموقعها الملائم للطيران ، وبذلك توفر أراضيها عدداً من المراكز الملائمة للرصد وللقاذفات الثقيلة .

٢ ـ الكتلة الشيوعية :

يحتل القسم الأعظم من العالم الشيوعي «الكتلة القارية من أوراسيا» . وقد سبق وأتينا على على ذكر الخصائص الجغرافية السياسية لهذه الكتلة . فقد كانت روسيا دائماً «برية عسكرياً» ولم تكن قواتها الجوية نفسها لمدة طويلة سوى قوة للدعم الجوي التكتيكي للجيش بالاضافة لطيران المطاردة ، وتقوم ستراتيجيتها التقليدية في الهجوم ، على استخدام قوات هائلة متماسكة ، وتقوم في الدفاع على الاستمرار بارهاق المهاجم على جبهته الواسعة الى ان يتفكك .

وتبقى هذه الستراتيجية على حالها في حالة نشوب حرب على القارة في

٧ ـ او كمحطات للاتصالات السلكية واللاسلكية عن طريق الاقمار الصناعية وتوجيه الصواريخ والسفن الفضائية .

الشـرق والغـرب مع التغيير الـذي تفـرضـه سرعـة الحـركـة للجيوش والأسلحة الحديثة.

ولكن العـدو المحتمـل الـرئيسي (للاتحاد السوفياتي) منذ الآن يقع ما وراء المحيطـات ولايمكن اصـابتـه الا عن طريق الجـو أو البحـر. ومن هنا تبرز حاجة الاتحـاد السـوفيـاتي المـاسـة لسـتراتيجيـة ذات طبيعة بحرية. وبهذا نجد الاتحاد السـوفيـاتي رغم امتـلاكه للصواريخ العابرة للقارات ذات الرؤوس النووية، يعود لتبني السيـاسـة العسكـريـة الـروسيـة القـديمة ويمارسها بشكل ممتاز وتتلخص: بالسعي للحصول على منافذ للمحيطات، وإقامة قواعد بحرية خارجية ولتشكيل سطول بحري حديث وقوي.

وقـد سبق لقيصـر روسيـا بطرس الأكبر أن قال في هذا الصدد: «ان الدولة التي ليس لها سوى الجيش لايكـون لها إلا ذراع واحـد، ولهـذا لابـد لها من امتـلاك اسطول بحري لكي يصبح لها ذراعان». ويلاحظ الآن هذا الطموح في طريقه للتحقيق..

وهكـذا فإن وضـع الاتحـاد السـوفيـاتي في العـالم وقـوة دولتـه العمـلاقـة. وايـديـولـوجيـة ذات الاهداف الكونية. تتكاثف لكي تحقق مفهومين اساسيين في المجـال المـزدوج للجغـرافيـا ـ السيـاسيـة والجغـرافيـا ـ الستراتيجية واحد هذين المجـال المـزدوج للجغـرافيـا ـ السيـاسيـة والجغـرافيـا ـ السـتراتيجية واحد هذان المفهـومـان «قـاريـاً» ويتطـور خلف ستـار «المقافز» الخارجية التي تشكلها البلدان تكـون قواعـد انطلاق تعرضية للاحتكاك بالخصم المحتمل، أما المفهوم الثاني فهو «بحري» يشبه المفهوم الغربي.

ومن الجـديـر بالـذكـر أن المفهـوم الأول يتـلاءم مع العـزلة الخاصة بالكتلة الشيـوعيـة بل ويـدعمهـا، والمفهوم الثاني يتجه ـ على عكس ذلك ـ للخروج من العـزلـة كما كان يتمنى القيـاصـرة القدامى، وهو يحتاج الى الحلفاء أو على الأقل لعقد الاتفاقيات مع البلدان البعيدة التي يجب كسب صداقتها؛ وهذا لايمكن أن

يتم بدون مخاطرة، ويستلزم اقامة علاقات مع البلدان الأخرى الامر الذي يحتاج «المرونة» لا الى «الاملاء والقوة» على الآخرين.

هذا وقد سبق واشرنا الى المحاسن التي يوفرها «الحجم» للاتحاد السوفياتي، فهو يوفر البعد الهائل لانتشار العناصر الحيوية، والاحتياطات الضخمة من كل الأنواع، ولكن ذلك لايخلو من المساوىء، وخاصة باتجاه الصين التي لم تعد صديقة ويمكن ان تصبح عدوة. واذا كانت «الكتلة السيبيرية» تشكل ورقة رابحة لا مثيل لها فإن المسافات الداخلية الطويلة الناتجة عنها يشكل بدورها عوائق جدية، يزيد في خطورتها «المناخ القاسي».

ويبذل الاتحاد السوفياتي جهوداً جبارة لتحسين خطوط مواصلاته: كالأقنية الضخمة على المحاور ـ شمال ـ جنوب؛ والطرق البرية، والسكك الحديدية، والخطوط الجوية، لكن روسيا الأوربية وسيبريا الشرقية تشكلان مسرحين مستقلين للعمليات ومتباعدين جداً عن بعضهما؛ وان مضاعفة طريق عبر سيبريا، ليس سوى ملطفاً بسيطاً لهذه المشكلة، كما يبقى الطريق البحري من الشمال طويل وصعب على الرغم من الامكانيات التقنية الجديدة التي تساعد على تحريره من الجليد.

والواقع أن هذين المسرحين منفصلين عملياً أكثر من انفصال أوربا الغربية عن امريكا مثلاً، ومع ذلك فإن سيبريا والمنفذ الى المحيط الهادي تزداد اهميتهما يوماً بعد يوم بالنسبة للاتحاد السوفياتي من الناحيتين الستراتيجية والاقتصادية، بينما يتصاعد التهديد الصيني لهذين المرفقين الجنوبيين طمعاً بالتوغل نحو الشمال مما يعرضهما للانفصال عن روسيا الاوربية، ويترتب هذا الوضع على الاتحاد السوفياتي مسؤولية كبرى تضطره للاحتفاظ بمجموعتين مستقلتين من القوات بشكل دائم احداهما في اوربا والأخرى في آسيا، كما يدفعه ذلك الحرص على عدم المخاطرة بحرب مزدوجة في الشرق والغرب في آن واحد، والتصلب في تنفيذ المفاهيم الستراتيجية التي تحتمل أي بادرة للتخاذل من قبل حلفائه.

والصين أيضاً بلد ضخم ومتماسك، وهي تسعى لخلق دول تابعة لها لتقيم

حولها حزاماً وقائياً ومقفزاً ستراتيجياً عن اللزوم . وهي تتنافس مع السوفييت بفرض الاشراف العسكري والسياسي على كوريا والهند الصينية[8] . ولكن الصين تتميز عن الاتحاد السوفياتي بامتلاك شواطىء طويلة ومفتوحة على المحيط الهادي ، وهي غنية بالموانىء الممتازة ومصبات الانهار الصالحة للملاحة ، غير أنها لا تزال فقيرة جداً ، وضعيفة صناعياً .

وتملك الصين قوة بشرية هائلة تقدر بثمانمائة مليون[*] نسمة تقريباً ، كما أنها استطاعت في السنوات الأخيرة انتاج القنابل الذرية والهيدروجينية وتبذل جهوداً فعالة لانتاج وسائل حمل هذه القنابل كالصواريخ المتوسطة والطويلة المدى والطائرات الثقيلة ، وسوف تحصل على هذه الوسائل في المستقبل القريب[9] ، ومن الصعب جداً التنبؤ بالاستخدام الستراتيجي الذي تريد تطبيقه بقوتها الجديدة في زمن السلم كوسيلة للضغط السياسي وفي زمن الحرب الحقيقية .

واذا كان التطور الممكن للنزاع الصيني ـ السوفييتي ومضاعفاته لا يزال غامضاً ، فإن الملاحظة الموضوعية للوضع الراهن في الشرق الأقصى يشير الى بعض الدلائل الملموسة . فنحن نرى كيف أن الولايات المتحدة الامريكية تبذل اقصى الجهود من أجل «احتواء التوسع الشيوعي» وتطويق الصين بجهاز دفاعي يمتد من بورما الى كوريا الجنوبية .

وتشكل بالمساعدات السياسية والاقتصادية لدول هذه المنطقة ، السلاح الدائم الذي يعزز عند اللزوم بالتدخل العسكري المباشر كما حدث في كوريا

---

٨ ـ ازداد هذا التنافس منذ رحيل القوات الأميركية عن فيتنام وكمبوديا ، ويتجسد بشكل واضح في النزاع الأخير بين فيتنام وكمبوديا وفي هجرة الأقليات الصينية من فيتنام .

(المعرب)

(*) تجاوز عدد سكان الصين المليار نسمة في يناير عام ١٩٨٨ .

٩ ـ تواترت المعلومات عن انتاج الصين للصواريخ المتوسطة المدى والتي تصل الى مسافات تتراوح بين ٣٠٠٠ كم إلى ٧٠٠٠ كم .

والهند الصينية(١٠) والحقيقة أن الوسيلة الوحيدة التي تضمن لامريكا تحقيق هذا الهدف هي السيطرة على المحيط الهادي. والعكس صحيح أي انه ما من وسيلة تحول بين امريكا وبين استمرار سيادتها على المنطقة سوى القوة البحرية المعادية التي تنتزع منها السيادة على هذا المحيط.

ولا يستبعد ان تفكر الصين بالوصول الى هذا الهدف على المدى البعيد، غير أنه من الاسهل والاسرع ـ بل قد يكون من الأفضل ـ لها الحصول على الاسلحة النووية بدلاً من محاولة انشاء اسطول بحري في مستوى اساطيل الدولتين العملاقتين.

ولقد اظهرت الحرب الفيتنامية الأخيرة مدى اهمية السيطرة على البحار المحيطة بالكتلة القارية. فالواقع أن تموين شمال الفيتنام يكاد ينحصر في «ميناءها يفونغ» وليس عبر حدودها الطويلة مع الصين. وقد انثبتت احداث الحرب صحة ذلك. كما اثبتت بنفس الوقت صعوبة تنفيذ فكرة تدمير هذا المرفأ تدميراً كاملاً رغم ان ذلك كان دائماً في حدود امكانيات الطيران الامريكي: **والسبب الرئيسي هو الخوف من اندلاع حرب عالمية شاملة لأن الاتحاد السوفياتي والصين لايمكن أن تقبلا حالة التوقف الكامل والنهائي لمساعداتها لفيتنام...** وهكذا بقي «ميناء

---

١٠ ـ لقد طرأ بعض التعديل على ستراتيجة امريكا في هذه المنطقة وخاصة بعد اضطرار امريكا للانسحاب من الهند الصينية. وقرار الكونغرس الاميركي بعدم السماح لرئيس الولايات المتحدة بارسال القوات المسلحة للقتال في الخارج. واعتماد المبدأ الذي اطلق عليه اسم «الفتنمة» أي الاعتماد على الجيوش المحلية لمحاربة الأنظمة الثورية.

هذا بالإضافة إلى ان امريكا قطعت شوطاً كبيراً في تحسن علاقاتها مع الصين، منذ زيارة الرئيس نيكسون لبكين عام ١٩٧٤ حتى الآن.

كما عدلت اتفاقياتها الدفاعية مع اليابان بشكل يسمح لهذه الأخيرة للمساهمة بشكل فعال للوقوف إلى جانب الولايات المتحدة تجاه الاتحاد السوفياتي، واحتواء الخطر الصيني في جنوب شرق آسيا.

(المعرب)

هايفـونـغ» مذبحـاً مقـدسـاً طوال حرب فيتنـام يحميـه هذا التهـديـد باعتبـاره الرئةالوحيدة التي تتنفس منها منطقة تونكين.

٣ ـ الأحزمة المحيطية

يمكن تمييـز ثلاثـة «احزمة تحيط بالكتلة الاوراسية» وتستقل عن امريكا من الناحية الطبيعية:

آ ـ الحـزام شبـه الجـزيـري: ويتكـون من مجمـوعة «أشباه الجزر» تتصل في الغرب مع شبه الجزيرة الأم التي هي اوربا الغربية في أقصى اوراسيا. وتشتمل في أوربا على شبه جزيرة اسكندينافيا، وايطاليا، واسبانيـا، واليونان، بالاضافة الى اشباه جزر اخرى صغيرة مثل الدانمراك والكونتانتان[11]» ومن ثم تأتي شبه جزيرة تركيا والشرق الأوسط[12] ويشكلان همزة وصل بين القارات الثلاث.

أما في آسيا فهناك شبه الجزيرة الهندية، وشبه جزيرة ماليزيا والهند الصينية وكوريا.

وجميـع هذه الأشبـاه الجزر منفصله عن القارة بحواجز طبيعية، ولكن البحر يصل بينها أكثر من اليابسة. وهي عبارة عن «رؤ وس جسور» نحو الكتلة القارية، كما أنها بالنسبة للقارة «مقافز» باتجاه العالم الخارجي.

فشبه الجزيرة الايطالية وشبه جزيرة الكونتانتان كانتا رأسا جسر للحلفاء في الحـرب العـالميـة الثانية. بينما حاول الاتحاد السوفياتي «القفز» للخارج عن طريق شبـه الجـزيـرة اليونانية أولا ثم عن طريق شبه جزيرة كوريا وأخيراً عن طريق شبه جزيرة الهند الصينية.

إن هذا الحزام يبدو للناظر الى خريطة الكرة الأرضية كأكليل من الورد يزين الكتلة الاوراسيـة ولكنـه بنفس الـوقت شديـد الحساسية بسبب ما يدور حوله من

---

١١ ـ Le Cotentin هي شبـه جزيـرة بريتـانيـا الفـرنسيـة التي تقع بين مصب نهر السين في الشمال ومصب اللوار في الجنوب.

١٢ ـ شبه الجزيرة العربية.

منـازعـات، وان قوتـه تكمن في تكـامله وتمـاسكـه وان أي تمزق في اطرافه يشكل تهديداً لصلابة المجموع. والمثال على ذلك هو ان كل ما يجري في الشرق الأقصى لا يمكن أن يطمئن اوربا ولا يمكن أن تنظر إليه بعدم المبالاة.

ب ـ حزام الجـزر الـداخليـة: ويشتمل على جزر كبيرة تحيط بالقارة مثل: سبيتسـبرغ، وايسلنـدا وبـريطانيا، وشمال غربي افريقيا (التي تعتبر بمثابة جزيرة من النـاحيـة الستراتيجيـة لأنهـا مفصـولة عن الكتلة الافريقية بواسطة الصحراء الكبرى)، وكريت وقبرص وسيلان وانسولاند والفيلبين، وفورموزا واليابان والاليوتين.

وهذا الحزام يعـزز الحزام الأول ويكرر مميزاته ويزيدها: فانفصاله عن القارة يشكـل مخرجـاً شديـد الصعوبة بالنسبة للكتلة الداخلية التي لا تستطيع ان تضع قدمها عليه الا بعمليات جوية ـ بحرية، لا يمكن مباشرتها الا بعد احتلال اجزاء من الحـزام الأول، والحصـول على التفـوق الجـوي فوق البحر محلياً على الأقل، وهذا ما ينطبق بالضبط على المأساة الهتلرية.

وتعتـبر هذه الجـزر في البـدايـة اهدافاً جوية أيام الحرب الساخنة، واهدافاً للحرب النفسية زمن السلم.

جـ ـ حزام الجـزر الخـارجي: وهـو يشكـل مع القـارةالامريكية «مؤخرات العـالم الحـر». فالجـزيـرة التي تتكـون عمليـاً من «الدول البيضاء»[١٣]. في افريقيا الجنـوبيـة ومـدغسكـر والارخبيـلات المجاورة لها، واستراليا وكاليدونيا الجديدة، وزيلندا الجديدة، وارخبيلات اوقيانوسيا وأخيراً جزر المحيط الهادي حتى هاواي، كلها تشكل مواقع امامية.

ولهـذا الحـزام أهميـة ستراتيجيـة خاصـة ابـرزتها حرب الباسيفيك بين عم ١٩٤٢ و١٩٤٥. وقـد ازدادت أهميتهـا لسببـين: الأول هو التقـدم السريع الذي

---

١٣ ـ يطلق المؤلف على الدولتين العنصريتين، جنوب افريقيا وروديسيا اسم «الجزيرة البيضاء» وبهذا يعبر عن مدى اهمية هاتين الدولتين بالنسبة لستراتيجية الغرب. (المعرب)

احـرزه الطـيران مما يستلزم اقـامـة قواعـد جوية بعيدة. والثاني لأن بعض «النقاط المفتـاحيـة» من النـاحيـة الستـراتيجيـة مثل عدن، وترينكولمالي Trincolmalie وسنغـافـورة الـخ. . اصبحـت اليـوم مهـددة مباشرة بل ان بعضها خرج فعلاً عن سيطـرة الغـرب بعـد أن كانت لزمن طويل تحت نفوذه. وهكذا اظهرت الاحداث الراهنة اهمية جزر المحيط الهادي التي كانت حتى الآن مهملة بل ومجهولة.

٣ ـ المنطقة الأطلسية :

تبرز اوربـا الغـربيـة على لوحـة المنطقة الأطلسية في المقام الأول، وبذلك تكون «القطعة الرئيسية» التي تستحق انتباهاً خاصاً.

وقـد قيـل في المـاضي أن أوربـا تمثل «الرأس الصغير لآسيا» وكما قلنا نحن بأنهـا تشكـل «شبـه جزيـرة أوراسيا» التي يتصل بها عدد من اشباه الجزر الثانوية. ويبـين التـاريـخ ان محورهـا من الشـرق الى الغـرب كان طريقــاً لحركـات الغزو الكـبرى في الاتجـاهين، أما الهجمات الواسعة في الحروب الحديثة فكانت السهول الشمالـة الـواسعة طريقها التقليدي. ومع ذلك فقد اجتاحت اوربا غزوات هامة سالكة طرقاً عرضانية، فالفايكنج[١٤]، اجتاحوا القارة من الشمال الى الجنوب حتى بيـزنطـة، كما استخـدم النـورمـان الانهار العرضانية في فتوحاتهم، أما العرب فقد اجتازوا المخاضتين الماثلتين في البوسفور وجبل طارق واتجهوا نحو الشمال.

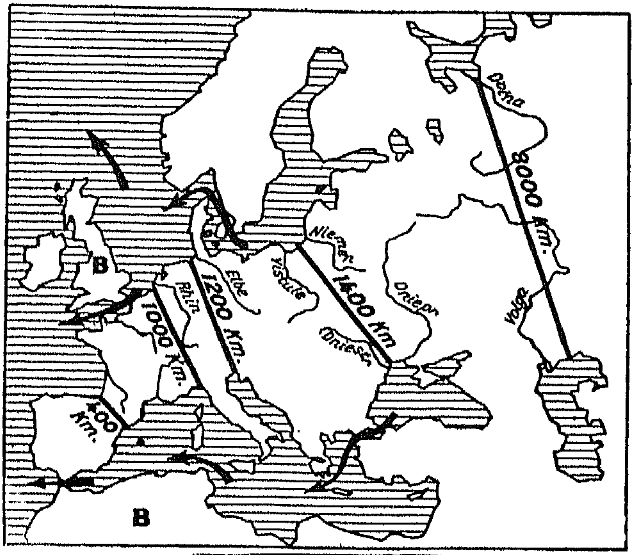
واليـوم تجد أوربـا نفسها من جديد تحت هذه الشروط حيث لم يعد الصراع داخلياً ولم تعد هذه القارة سوى احد ميادين هذ الصراع.

وشبـه جزيـرة اوربـا تتقلص من حيث المسـافـة طبقاً لخمسة «برازخ» تكاد تكون متوازية، شمال ـ شرق أو شمال ـ غرب ـ جنوب ـ شرق، وهذه البرازخ هي :

(انظر الشكل ـ رقم ٦ ـ)

---

١٤ ـ Vikin هم سكان بلاد الشمال الاسكندنافية.



شكل رقم - ٦ -

- برزخ اركانجلسك - استراكان وعرضه ٣٠٠٠ كم وينطبق على حدود روسيا الأوربية.

- برزخ كوتسبرغ - أوديسا وعرضه ١٤٠٠ كم ويشكل تقريباً الحد الغربي لروسيا.

- برزخ لوبيك - ترسينا وعرضه ١٢٠٠ كم وينطبق على خط «الستار الحديدي».

- برزخ تفرس - جنوا، عرضه ١٠٠٠ كم.

واخيراً برزخ بايون - بورقاندر، وعرضه ٤٠٠ كم، وتغطيه جبال البيرينيه التي تفصل اسبانيا وفرنسا.

وكل واحد من هذه البرازخ يتضاعف بشكل غريب بسلسلة من طرق

العبور أو المواصلات الطبيعية التي تشتمل على الاودية والفوهات والطرق المائية التي لا تكاد تنفصل الواحدة منها عن الأخرى. وفرنسا نفسها يمكن اعتبارها برزخاً عريضاً بين البوش دورون وخليج السين، وكثيراً من مميزات تاريخها يمكن تفسيره على هذا الأساس، ومن هاتين النهايتين انطلقت الجيوش الحليفة بعد الانزال في النورماندي والبر وقانس (جنوب فرنسا) وصعدت مع الوديان لتتلاقى في منتصف الطريق. وهذا المثال يكفي لاظهار الدور الستراتيجي الذي يمكن أن تلعبه البرازخ.

ومن الملاحظ ان جميع الانهر الاوربية الكبرى تجري بشكل عرضاني، باستثناء نهري البو والدانوب ولهذا كان ينظر إليها لفترة طويلة كحواجز استراتيجية ولكنها لم تؤد هذه المهمة الا نادراً. غير أن وسائل العبور الحديثة استبعدت هذا الدور أكثر من أي وقت مضى بواسطة طرق المواصلات والوديان التي تسهل التقدم، والطرق الملاحية بشكل أقل.

والكتل الجبلية تحتل الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة بشكل خاص، وهي عبارة عن حواجز طبيعية اقليمية يجب الالتفاف حولها، خاصة تلك التي تشكل مناطق عمليات ثابتة حيث تصبح الاسلحة الحديثة أقل فعالية، وحيث تستعيد الاسلحة الكلاسيكية. مكانتها بجدارة.

ويمكن للستراتيجية ان تشكل من الكتل الجبلية جزيرات مقاومة وتقيم فيها مصائد ضخمة للدبابات، لايمكن للعدو التغلب عليها الا بجهود جبارة. كما يمكن استخدام الجبال كرؤوس جسور تمون من الجو.

والاحزمة «الجزيرية، وشبه الجزيرية، تؤمن حول اوربا امكانيات ستراتيجية رائعة، أكان ذلك بالنسبة لمواقع العناصر المختلفة أم بتكوينها الطبيعي والاقتصادي، وهي تؤمن من الشمال والجنوب هيئات متناظرة تستحق الذكر.

أما البحران الداخليان (البلطيك والأسود) فتغلق احدهما شبه الجزيرة السكندنافية وتغلق الآخر شبه جزيرة آسيا الوسطى. وتتشكل كلتاهما من كتل جبلية قاسية تنتهي بنوع من المضائق: البوسفور والدردنيل من جهة، والسوند

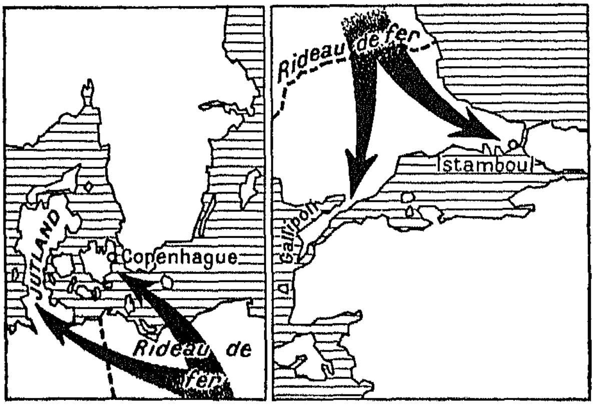
Sund والبيليت Belt من الجهـة الأخـرى حول الجـزر الـدانـماركية. وتشرف هذه المضائق على الملاحة بل ويمكن ان تمنعها عن طريق اخذها من الخلف وباحتلال المـرتفعـات الجبليـة الخـارجيـة. ويمكن احتلال شبه جزيرة جوتلاند وشبه جزيرة غاليبـولي بواسطـة العمليـات المحمولة جواً، ويزيد في سهولة هذه العمليات قربها من القـواعـد الجـوية القريبة من الحدود. ويسمح البحر البلطيكي والبحر الأسود للكتلة السـوفيـاتيـة بتنظيم طرق بحرية عرضانية على طول شواطئهما، وهي اكثر فائـدة من الطـرق الـبر يـة الفقيرة والمعرضة للتهديد في هذه المناطق. وإن خسارة المضـائق ستعني اذن حريـة انطلاق الاساطيل السوفياتية للمحيطات وامتداد هذه الطرق العرضانية لدعم التعرض البري نحو فرنسا (اي باتجاه اوربا الغربية).

وفي النسق الثـاني هنـاك قلعتـان متنـاظرتان تلعبان نفس الدور الذي تلعبه شبـه جزيـرة اسكنـدنيافيا وشبه جزيرة آسيا الوسطى، وهاتان القلعتان هما: الجزر البريطانية وكتلة المغرب العربي (شمال غرب افريقيا)، وهما تشرفان على مجموعة ثانية من المضائق مثل جبل طارق، والبادوكالية، وإلى الشمال، الممرات المحيطة بايسلنـدا (حيث يمكن للمنـاخ الـرديء والجليـد والألغـام البحـريـة تحويلها الى مضائق حقيقية).

وهما بالاضافة الى ذلك تشكلان حاملات طائرات عملاقة ومراكز للحشد ومحطات تناوبية للتموين والشؤون الادارية.. الخ..

وسـوف نكتفي بالاشـارة الى اشبـاه الجزر والجزر الثانوية التي تَبينَّ مما سبق اهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه في الصراع العالمي: فقد سبق وذكرنا دور كل من شبـه جزيـرة ايطاليا والكوتانتان، ويمكن الآن أن نضيف اليها شبه جزيرة اليونان حيث استطـاع الألمـان في الحرب العالمية الثانية ان يهددوا منها قنال السويس، أما الجزر المجاورة للقارة مثل جزيرة غوتلاند وبورنهولم في بحر البلطيك، وجزر البحر الأبيض المتـوسـط. فينقصهـا البعد والمساحة في اطار الستراتيجية النووية العامة، وفي هذه الحالة يمكن أن تحل محلها جزر الحزام الداخلي.

وتحتفظ هذه الجزر بكامل أهميتها في اطار الستراتيجية الاقليمية التي تطبق



شكل رقم ـ ٧ ـ
التشابه بين المضائق الشمالية والمضائق الجنوبية

في حالات الحرب المحدودة وحتى في حالة الحرب الشاملة عندما تكون تكاليف الصدمة الأولى عالية لدرجة خيالية يضطر معها الاطراف المتنازعة الى الاقتصاد بالاسلحة الحديثة، واللجوء إلى الحرب الكلاسيكية. وعندئذٍ سيعود للبحر الأبيض المتوسط أهميته ودوره التقليدي الذي يعزز دور البحار الداخلية بطرق المواصلات الكبرى والقصيرة التي تؤدي الى الشرق الأوسط والشرق الأقصى.

وهناك عامل جغرافي هام يتكون من «مراكز القوى» الاقتصادية والستراتيجية التي تعتبر بدورها اهدافاً رئيسية للستراتيجية. ومن هذه المراكز: المناطق الزراعية الغنية، المناطق الزراعية في أوربا، وبعض المناطق التي جعلتها ميزاتها الطبيعية في مصاف ميادين المعركة التقليدية، ولا بد بهذه المناسبة من الاشارة الى منطقة الشرق الأوسط بشكل خاص باعتبارها نقطة اتصال من ثلاث قارات ومستودع للبترول ومفتاح اساسي للحروب الطويلة.

إن هذا الاستعراض السريع للجوانب الجغرافية الستراتيجية لمنطقة

الأطلسي، وبشكل خاص لأوربا، لا يسمح الا بتحديد بعض العناصر التي تتحكم مع غيرها بالستراتيجية. وكله على كل حال يكفي لاستنتاج خلاصتين عامتين:

- الاولى: هي عندما تجري الحرب على الأراضي الاوربية بين القوة القارية والقوة البحرية. في هذه الحالة تكون المناورات على الاجنحة مفيدة للطرفين. فالقوة البحرية لايمكن ان تنهي اندفاعاتها الأولى الا بعد الالتفاف من الشمال عبر اسكندنيافيا حتى انكلترا، ومن الجنوب عبر البحر الابيض المتوسط حتى المغرب.

أما القوة البحرية فلا يمكن أن تقضي على خصمها الذي يتمتع بعمق لامتناه عملياً، الا بمهاجمة اجنحته بعمليات قصيرة، وباحجام أقل من عمليات التعرض المركزي الضخمة التي برهن التاريخ بأن طلائعها الامامية البعيدة غالباً ما تفقد حيويتها وتمتصها الفيافي الشاسعة كما تمتص آخر موجات من تيارات الرمال[١٥].

- والثانية: هي ان تنظيم الجيوش الحديثة وتسليحها يجب أن يتلاءم مع الظروف القائمة أو المحتملة. وفيما عدا القوات المجهزة تجهيزاً قوياً بالاسلحة الحديثة والتي تقتصر مهمتها على الدفاع خلال الصدمة الأولية للحرب، فإن بقية القوات فيجب أن تكون «قوات برمائية». . بالمعنى الحرفي للكلمة وهذا يعني أنه يجب أن تكون قادرة على العيش والقتال في الجو وتحت الماء، وفوق البحار واليابسة. لأنه سيكون بإمكانها الانتقال جواً وبحراً للعمل على الاجنحة وفي بدايات البرازخ، وتحت «زعانف» اوربا وبطنها المترهل.

---

١٥ ـ ومن الأمثلة على هذه العمليات، حملة نابليون بونابرت التي وصلت إلى موسكو واضطرت للتراجع تجرجر اذيال الخيبة في بداية القرن التاسع عشر وكسرت شوكة الجيش الذي لم يعرف الهزيمة قبل ذلك. ثم حملة هتلر في منتصف هذا القرن.

٤ ـ منطقة المحيط الهادي

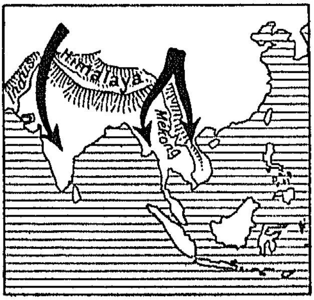
تشمـل دراسـة هذه المنطقة على الأراضي البعيدة جـداً مثل ماداغشقر لأن مجمـوعهـا يشكـل وحـدة متكـاملة، كما تضطـرنا للاكتفاء بالدراسة الموجزة لأسيا وضواحيها حيث توجد المناطق الحيوية الحالية. ونسارع فنشير الى أن الصين ـ كما سبق وقلنـا ـ ذات طبيعـة قارية، ويكفي الاطلاع على آراء الرئيس ماوتسي تونغ الستراتيجيـة للاقتنـاع بهذه الحقيقـة. واذا كانت البلدان الآسيـويـة الكـبرى ـ باستثناء اليابان ـ قد حافظت على هذه الميزة، فما ذلك إلا لأن امكانياتها البحرية وسـائلهـا القـديمـة خلال فترة طويلة من الزمن ضمن اطار النشاط الحرفي، رغم غزارتها الهائلة.

كما تجدر الاشارة الى أن الحضـارة الغـربيـة، أوعلى الأقـل تقنيـات هذه الحضارة، دخلت آسيا عن طريق البحار وجعلت من اليابان، البلد الديناميكي، قوة بحرية من الدرجة الأولى. وهيأت للبلدان الأخرى الفرصة للسير على منوالها لتصبح قوى ذات شأن ايضاً.

ولا نرى ضرورة للالحـاح على دور الأحـزمـة المحيطيـة، لأنـه يشبـه دور مثيـلاتهـا في المنطقـة الأطلسيـة. ويكفي القاء نظرة على خريطة آسيا لنرى أشباه الجـزر والجـزر التي تشـرف على الطـرق البحـريـة وممرات لمضائق. غير أنه من المستحسن الاشـارة الى استمـراريـة الارخبيـلات التي تتتـابـع لتشكـل نوعا من الرصيف الممتد من جزر عدمان ADAMAN في خليج البنغال، حتى جزر الكوريل التي تلامس شبه جزيرة كامنشاكا السوفياتية.

وتعتـبر اليـابـان نفسهـا جزءاً من هذا الرصيف أو المكسر الحاجز، وهو في نظـرهـا «السور العظيم» الذي كانت تنوي بسط هيمنتها في داخله وتحقق ماكانت تسميه بـ«آسيا الكبرى».

وتقسم القـارة الآسيـوية الى قسمين بواسطة سلسلة جبال هيمالايا الهائلة، والتي تكملها في الغرب «جبال سليمان» الواقعة في باكستان الغربية. وعلى امتداد هذه الاستطالات الجبلية توجد بعض «المعابر الكبرى» مثل الهندوس. والميكونغ.



شكل رقم ـ ٨ ـ
حاجز جبال هيمالايا وأقفاله (أو منافذه)

وهذه المنطقة المسورة تضم في داخلها آسيا الجنوبية الثمينة، والتي تتألف من: الهند، وبورما (وبنغلادش أو الباكستان الجنوبية سابقاً). وماليزيا، وسيام والهند الصينية بالاضافة الى اندونيسيا والفيليبين. والى الشمال والشرق من جبال الهيمالايا تقع البلاد الشيوعية(١٦). المعروفة بمناخها القاسي وشعوبها القوية الشكيمة. التي تتطلع دائماً للغزو، وتمتد هذه المنطقة حتى المقاطعات البحرية الصينية التي تحجزها الجبال من جهة وعجزها البحري من الجهة الثانية. غير أنها تملك ممرين هامين احدهما باتجاه نهر الهندوس وتشرف عليه الباكستان (ومن هنا تبرز أهمية المعاهدة المركزية التي تربط الباكستان ببقية العالم الحر عن طريق تركيا وايران وانكلترا). والآخر الى الشرق باتجاه نهر ممر الميكونغ الذي يمكن بلوغه بالالتفاف حول جبال آنام من الجنوب باتجاه سايغون بواسطة الطريق شمال تونكين ولاووس العليا التي يشرف عليه موقع «ديان. . بييان. . فو»(١٧).

١٦ ـ بعد انسحاب القوات الاميركية من شبه جزيرة الهند الصينية اصبحت هذه المنظمة الشيوعية تمتد إلى جنوبي جبال هيمالايا.

(المعرب)

١٧ ـ تظهر هذه الدراسة الأهيمة الستراتيجية لموقع ديان بيان فور والمعركة التي دارت فيه بين القوات الفرنسية وقوات فيتنام الشمالية عام ١٩٥٤ وانتهت بانتصار الفيتناميين واستسلام الحاجة الفرنسية واصبح الطريق إلى جنوب شبه جزيرة الهند الصينية مفتوحاً.

(المعرب)

ولعل من ابرز معالم السياسة الدولية في السنوات الأخيرة، هي أن الاهداف الجغرافية السياسية في هذه المناطق أصبحت موضوع ستراتيجية السلم التي تهدف السيطرة السياسية على جنوبي شرقي آسيا عن طريق تشجيع الروح القومية واثارة الكراهية للاجانب، بل وعن طريق اثارة الحروب الثورية الاقليمية التي كان من أهمها حرب كوريا وحرب فيتنام.

وسيكون الامر كذلك في حالة نشوب حرب عالمية شاملة: فاليابان لايمكن الا ان تنحاز إلى احدى الكتلتين والا فستعرض نفسها للاحتلال بعمليات جوية. بانتظار الفترة التي ستكون فيها القوة البحرية - السوفياتية أو الصينية قادرة على فرض سيطرتها على المحيط الهادي.

أما آسيا الجنوبية: فيمكن أن تسيطر عليها الهند الصينية سياسياً وعسكرياً اذا لم تسبقها الى ذلك الباكستان. (بالتعاون مع الحلف المركزي). هذا مع العلم بأن هذه المنطقة. مرتبطة بالعمليات التي ستجري في منطقة الشرق الأوسط الذي اشرنا الى أهميته الستراتيجية البالغة عند الحديث عن المنطقة الاطلسية (أي الغرب).

وبعد ذلك يأتي دور اندونيسيا والفيليبين.

ولا مجال في هذه الدراسة لتعريض الستراتيجية الدفاعية التي يجب على العالم الغربي وضعها لاحباط الاهداف التوسعية للكتلة الشيوعية في زمن السلم وفي زمن الحرب. فهذه الستراتيجية تمليها اعتبارات جغرافية سياسية، كما يمليها الترابط العضوي للاحداث من أقصى اطراف الكرة الأرضية الى ادناها، ويجب أن تقوم على الانسجام التام الذي كانت تفتقر له دائماً.

٥ ـ منطقة المحيط المتجمد الشمالي

لقد اعطت الوسائل الحديثة لهذه المنطقة من العالم أهمية كانت خيالية في الماضي. وبهذا فإن الواقع الراهن يقضي باعطائها مكانها في هذا البحث يتناسب مع الأهمية الجديدة التي اكتسبها. والخريطة الستراتيجية (المنشورة على ص ١٢٣

تظهر على جوانب هذه المنطقة القطبية اجزاء من امريكا الشمالية ومن اوراسيا مما لم يكن له أية قيمة في الماضي عندما كان القطب الشمالي منطقة يستحيل اختراقها عملياً؛ كما كانت المناطق المحيطة به غير صالحة للاستثمار، غير أن ذلك لم يعد وارداً في هذه الأيام.

فالطائرات تحلق يومياً فوق المناطق القطبية وتقطعها بخطوط مستقيمة، كما أمكن إقامة قواعد جوية في آلاسكا، وغروئتلاند، وسيبيريا، وهي تعمل بشكل طبيعي كمطارات ومهابط ستراتيجية. كما ظهر أن هذه المناطق تخفي في باطنها خزانات هائلة من المعادن المتنوعة والبترول وقد بوشر باستثمار بعضها فعلياً واقيمت فيها بعض المنشآت الصناعية الهامة.

ومنطقة القطب الشمالي تشكل بحراً يغطيه الجليد تغطية كاملة، ولكن جليده قليل السماكة ومياهه على العكس عميقة جداً، مما يسمح للغواصات النووية التي تستطيع الغطس لفترات طويلة، بأن تمخر تحت الجليد وان تخترقه كلماارادت لتطفو فوق سطح البحر في المكان والزمان الذي تريده، ولذلك يصعب كشفها وبالتالي تصعب اصابتها عملياً، بينما يكون باستطاعتها اطلاق قذائفها ذات الرؤوس النووية الى مسافات تزيد عن ٣٠٠٠ كم كما تفعل في المياه الحرة. وأن نظرة عاجلة للخرائط تكفي للملاحظة بأن منطقة المحيط المتجمد الشمالي تسمح بالاقتراب من السواحل السوفياتية وبالتالي اصابة اهداف أكثر بعداً داخل القارة.

وأخيراً لا بد من ذكر الطريق البحرية للقطب الشمالي الذي يحاذي الشواطىء السوفياتية، وأهمية هذا الطريق المتزايدة بالنسبة للاتحاد السوفياتي خاصة مع تطور الوسائل الحديثة التي تساعد على تعزيل الجليد في الشتاء وخاصة منها كاسحات الجليد النووية.

الفصل السابع

عناصر ستراتيجية المستقبل

«الستراتيجية هي فن اختيار نقاط تطبيق القوة»

لينين

إن الجغرافية ـ الستراتيجية المستندة على الجغرافيا ـ السياسية، ليست بالطبع سوى عنصر من عناصر الستراتيجية العامة.

والحرب ليست اطلاقاً من شأن العسكريين وحدهم. والقرارات الستراتيجية هي دائماً من صلاحيات واختصاص السلطة السياسية.

وان الاستعداد للحرب شأنه كشأن تنفيذها يجب أن يأخذ بعين الاعتبار تطور الأشياء والوسائل المتنوعة والتقدم في جميع الميادين كما يتطلب المعرفة الدقيقة للخصم المحتمل على جميع المستويات. ومع ذلك فإن تعريف لينين للستراتيجية يبقى صحيحاً لأنها تقدم المساعدات الثمينة على الصعيدين المادي والانساني.

١ ـ المعطيات الاساسية للستراتيجية: ان التنبؤ لايعني الاختراع بل يعني تصور النتيجة التي تقترن بها الاحداث في لحظة معينة من التطور والاتجاهات الجارية أو المتوقعة انطلاقاً من المعطيات القائمة.

وسنحاول اذن قبل كل شيء تلخيص النتائج السابقة فيما يلي :

آ ـ المبادىء الستراتيجية تبقى صالحة، اما ما يتغير فهو الاساليب والتقنية والمعايير.

ب ـ يبقى نفوذ العوامل الجغرافية الطبيعية على حاله. ولكن آثاره يمكن ان تتبدل بتبدل الوسائل الجديدة. أما بقية عوامل الجغرافيا ـ السياسية فتزداد اهميتها يوماً بعد يوم.

جـ ـ ما من بلد يستطيع التطور الآن بالاعتماد على نفسه فقط، وما من بلد يستطيع الدفاع عن نفسه منفرداً، ولذا فقد اصبحت «التجمعات الدولية» ضرورية في السلم كما في الحرب.

د ـ ان الحياة والدفاع مرتبطان مباشرة بحرية الحركة أي بطرق المواصلات والنقل الداخلي والخارجي.

ه ـ وقد اصبح للستراتيجية في هذه الأيام ثلاثة أشكال هي :

الستراتيجية الوطنية، ستراتيجية الاحلاف، والستراتيجية الكونية. والشكلان الاولان يمكن ان يكون بينهما بعض التعارض ولذلك فإن القوة الخاصة لبلد ما في أي من الاحلاف، تكون في حدود امكانياتها الذاتية.

و ـ ليس هناك «حماية مطلقة» ضد هجوم نووي شامل قد تتعرض له بلد ما بشكل مفاجىء وخاطف. ولهذا يمكن «للقوة الرادعة» ان تلعب دوراً فعالاً، ولكنها لايمكن ان تمنع «الحروب المحلية» اذا لم نقل بانها تشجعها.

لم يعد للحروب نهاية واضحة تليها مباشرة معاهدة صلح يحترمها الجميع الا في حالات نادرة جداً، وغالباً ما تتبعها الحروب الأهلية والمقاومة بأنواعها، التي ترفع راية المبادىء الايديولوجية فتفتح المجال لانفجار الحرب من جديد أو استمرارها بشكل جديد، ولهذا أصبح من العسير جداً «كسب معركة السلاح».

٢ ـ اسباب الحروب Casus Belli

والاعداء المحتملون : ان احتلال الاراضي أو طرد الخصم منها واحتلالها من جديد بغرض ضمها نهائياً. كان لمدة طويلة الهدف الطبيعي للحروب، وكان

بالتالي السبب الرئيسي لهذه الحروب. وهذا مايحدث بالفعل في الأيام الحاضرة بين البلدان الحديثة الاستقلال؛ المشاكل مشابهة لتلك الاوضاع في البلدان القديمة. ولكن ذلـك لايمكن ان يحدث الآن بين البلدان العـريقـة المتطـورة. لأن القـوة الحقيقية أصبحت تبني على اسس اخـرى وتتـدعم خارج الأراضي الـوطنيـة، وخـاصـة بالاشـراف على بلدان اقـل قوة وأقـل تطـوراً. هذا بالاضـافـة الى ان الاسلحـة النـوويـة تشكـل اليوم خطراً دائماً يهدد بالدمار الشامل، ويزداد خطرها بالنسبة للأمم الصناعية الكبرى.

واصبـح «تـوازن الـرعب» من الحقـائق الراهنة المميزة لعصرنا الذي نعيش فيه. ولهذا السبب بالذات تضاءلت احتمالات نشوب الحرب الشاملة اللهم الا اذا فجـرتهـا الصـدف أو التطور العنيف غير المتوقع لاحدى الحروب الاقليمية، تلك الحـروب الـواسعـة الانتشـار في هذه الأيـام، وليس من المتـوقع زوالها على المدى القريب، لأن الهدف منها اسقاط بعض الخصوم أو وضعه تحت النفوذ المباشر.

ويجـري هذا الصـراع على الاشـراف السياسي والاقتصادي والستراتيجي تحت رايتين ايديولوجيتين متناقضتين هما: الراية اللبرالية ـ والراية الماركسية.

وهكـذا نرى أن الظـروف التي يمـر بها العـالم حالياً تنطوي على الكثير من المخـاطـر، لأن الـدول العظمى تبحث عن «مـواقع قوة» لتقف في مواجهة بعضها البعض في منـاطق كثـيرة في سطح الكرة الأرضية وخاصة في النقاط الحساسة مثل البحر الكاريبي والشرق الأوسط والبحر الابيض المتوسط، وجنوب شرقي آسيا.. الـخ. ومن ناحيـة ثانيـة فإنهـا تجد نفسهـا مسـوقـة بارادتهـا أوبقـوة الاشياء لدعم الاطـراف المتنـازعـة وبذلك تطيل الحروب بوسائل ملائمة للايديولوجيات (حرب العصابات من جهة، الحرب المضادة للعصابات من الجهة الأخرى).

وعلى هذا الاسـاس يؤكـد الـرئيس الراحل ماوتسي تونغ أنه «ليس هناك سوى نوعان من الحروب هما الحرب الثورية والحرب المضادة للثورة».

و«التعايش السلمي» هوخط سلوك سياسي معترف به حالياً، وخاصة من قبـل الـدولتين الاعظم في مواجهتهما لبعضها البعض، ولكنه لايشكل الضمانة

اللازمة والكافية لالغاء الحروب العامة والثانوية نهائياً، ذلك أن الخوف النووي (او توازن الرعب) هو الذي فرض هذا التعايش، ولكنه لم يبرز أي مبدأ بناء للسلام يمكن أن تجتمع حوله البلدان في اطار متبادل من الثقة الكاملة، وهو على العكس يمكن أن يؤدي الى تقاسم النفوذ على العالم بين الكبيرين سراً أو علانية، الامر الذي سيكون بمثابة «تواطؤ» أو تفاهم تفرخه القوة وبالتالي فإنه سيكون موقتاً حتماً.

هذا بالاضافة الى ان الصين، وهي اليوم دولة عظمى، رفضت الاعتراف بهذا التعايش السلمي ونتساءل ما هي التضحيات والتنازلات التي يجب أن تخصص لها من أجل الموافقة عليه وعلى حساب من ستكون هذه التضحيات؟؟

واخيراً فإن «التعايش السلمي» لايمكن أن يحول دون وقوع الحروب الثانوية اذا لم يشجعها ـ كما قلنا ـ بسبب توازن الرعب النووي نفسه.

والحقيقة، لقد انقضى الزمن الذي كان يمكن فيه التنبؤ بشكل أكيد تقريباً، بالحروب المقبلة وبالاطراف التي ستشترك فيها عند نشوبها على الأقل. ذلك ان الأهداف التي تسعى اليها الدول ـ الكبرى خاصة ـ اصبحت واسعة ومعقدة وغير واضحة، وهذا يعني أنه يمكن اخفاؤها بسهولة. ونحن نعلم أنه من الممكن الوصول اليها غالباً دون اللجوء الى الحرب المكشوفة. وفيما عدا ذلك فإن «توازن القوى» يكون احياناً اكثر حساسية مما يبدو، وقد يتجاوز الاطار القومي (الاطار الوحيد المتماسك)، كما يمكن للردة أو التهرب أن يصنفا الاحلاف، كما يمكن ان تتبدل «أوزان» الدول ضمن هذه الاحلاف حسب تطور قوتها الذاتية (وحيازتها على السلاح النووي مثلاً).

واخيراً فإن المشاكل الديمغرغرافية يمكن أن تقلب المعطيات وتتحدى التسويات المؤقتة القائمة.

ومن زاوية أخرى يجب أن نعترف بأن الأهداف العالمية للثورة الماركسية لم تكن مستنكرة اطلاقاً كما لايمكن أن تصبح مرفوضة في المستقبل ومع ذلك سيبقى التناقض الاساسي بين الكتلتين على حاله وبجميع مضاعفاته. وان النزاع

الصيني ـ السوفياتي الذي يُقال عنه بأنه «عقائدي» لكن التاريخ والحقائق الجغرافية السياسية تذكرنا بأنه يرجع أيضاً لاسباب مختلفة ملموسة وهي بلا شك اكثر خطراً، ومع ذلك يصعب التأكيد بأن الايديولوجية المشتركة لم تعد قادرة بين الصين والاتحاد السوفياتي ولو لفترة محدودة ضد عدو مشترك.

واخيراً فإن «العالم الثالث» لا يشكل كياناً متماسكاً ولا يمكن اعتباره «كتلة ثالثة» في التوازن العالمي، بل هو على الارجح معرض للانقسام والتمزق مع احتمال نشوب حروب داخلية بين بعض دوله.

٣ ـ الشروط العامة: ان الاطار الجغرافي هو الاطار الخاص بالمناطق التي حددت في الجزء السادس الا انه لابد من متابعة تجدد معلوماتنا عنها باستمرار وذلك بدراسة الأمكنة التي تتغير اهميتها والفائدة منها مع استمرار التقدم وان تستخلص النتائج والدروس من الاحداث التي تضع فيها بين الحين والآخر.

والواقع أن «القيمة الذاتية» للمناطق كلها يمكن ان تتبدل، فالاسكا اصبحت من المناطق الحيوية، والبحر الأحمر تضاءلت أهميته عندما فقد بعض قيمته كشريان عالمي[1]. كما فقدت بعض مناطق المناجم الأهمية التي كانت لها في الماضي. ومن ناحية اخرى هناك مناطق مفتاحية تفقد قيمتها بسبب الاحداث والحروب عندما تبدل ولاءها: وهذا شأن المغرب الذي كان لفترة طويلة بمثابة قلعة خارجية للأمن الاوربي.

وقد سبق أن أشرنا أيضاً في هذا الاطار الى «احجام» الدول الكبرى، وبالتالي اضطرار كل منها للحصول على امكانيات الضرب من مسافات كبيرة ـ وسواء أكانت الحروب نووية كليا أوجزئياً، أم كانت كلاسيكية ـ الامر الذي جعل

---

١ ـ صحيح أن اغلاق قناة السويس بسبب العدوان الاسرائيلي أثر على أهمية البحر الأحمر موقعاً ولكنهما ما لبثا أن استعادا مكانتهما فور استئناف الملاحة في القناة بل لقد أظهرت النزاعات في القرن الافريقي المكانة التي للبحر الاحمر على مستوى الستراتيجية الكونية.

القوات الجوية والبحرية اساسية في هذه الحروب، على الرغم من أن القرار النهائي لابد وان يتجسد على الأرض.

وتندرج الحرب الحديثة ابتداءاً من الصواريخ النووية التي تقذف من قواعد ثابتة أومتحركة على الأرض، أومن الغواصات المتحركة تحت الماء، أومن الطائرات المنطلقة من القواعد الأرضية أومن فوق حاملات الطائرات وتنتهي بطيران النقل وسفن الانزال. وان انتشار هذه الوسائل واستخدامها يتطلبان نظرة جغرافية ستراتيجية كاملة للعالم على الرغم من أن الحرب النووية الشاملة حَدُّتْ من التوسع الطبيعي للعمليات الحربية.

وهذه النظرة يجب أن تبنى على المعرفة العميقة للعلوم والتقنيات كعلم الانواء، وعلم البحار وتطبيقات الكيمياء بأنواعها والالكترونيات .. الخ.

وان ابتعاد الدول الكبرى عن بعضها يعرض للخطر البلدان التي تفصل بينها وخاصة في اوربا علماً بان التدمير النووي لهذه البلدان الوسيطة لن يكون حاسماً بالنسبة للحرب الكونية الشاملة. التي تستلزم تبادل القصف النووي المباشر بين الدولتين العظميتين المتحاربتين، بينما يمكن وضع هذه البلدان بسرعة تحت الاشراف السياسي والاقتصادي وذلك بوضع الخصم امام الامر الواقع.

ولما كانت الارض بحد ذاتها لم تعد هدفاً للحرب، بل أصبح الهدف الأساسي هو استثمار الموارد والوسائل التي أوجدها الانسان على هذه الارض، فمن الخطأ تدمير البلدان الوسيطة، وعلى هذا الاساس يمكن أن نفهم الخلفيات التي تحدو القوة القارية (اي الاتحاد السوفياتي) للاحتفاظ بقواته الكلاسيكية وتجديدها وتزويدها بالقوى الجوية والآليات التي تعطيها قدرة هائلة على الاختراق[٢]. كما يمكن ان تفهم المبررات التي تدفع مجموعة الدول الوسيطة أي

---

٢ ـ في السنوات الأخيرة ظهرت دعوة جديدة في الدول الغربية ينادي بها الخبراء العسكريون، تنادي بضرورة تعزيز القوات الكلاسيكية بشكل يمكنها من الصمود في وجه الهجوم المحتمل الذي يمكن أن يشنه حلف وارسو على أوربا الغربية دون اللجوء الى استخدام الاسلحة

دول اوربا الغربية، لامتلاك القوة اللازمة لايقاف المهاجم في قفزته الأولى والاعتماد اساساً على الاسلحة النووية التكتيكية التي اصبح استخدامها مباشرة شيئاً حيوياً.

وأخيراً فإن هذه البلدان متضامنة الى حد بعيد لأن أي منها لاتملك الابعاد الضرورية من طبيعية وغيرها لكي توقف مثل هذا الهجوم[٣].

وبعد أن استعرضنا ما يتعلق بـ «الردع النووي الستراتيجي» لابد من اضافة ملاحظتين هامتين في هذا المجال:

الاولى، تتعلق بالمفاجأة الأولية: باعتبارها العنصر التقليدي للنجاح، لأنه لم يعد لها أي نصيب لكي تلعب نفس الدور في الماضي، وذلك لأن شبح الحرب النووية أصبح رهيباً الى درجة يبدو معها أن أية حكومة حتى ولو كانت دكتاتورية لا يمكن أن تقدم على شن هذه الحرب وتعرض حياة الملايين من الناس للابادة دون اللجوء الى اعداد نفسي شديد لايمكن اخفاءه.

والثانية: أن «قوة الردع» ستبقى دائماً فعالة بالنسبة للدول الكبرى البعيدة عن بعضها ولكنها أقل فعالية بالنسبة للبلدان المتوسطة خاصة عندما يصل العدو

النووية بما في ذلك الاسلحة النووية التكتيكية. وقد اجريت المناورات المتعددة في قلب أوربا وعلى مجنباتها من الشمال والجنوب لاختبار قدرة قوات حلف الاطلسي الكلاسيكية على القيام بهذه المهمة: وتقرر على أساس هذه المناورات رفع ميزانيات الدفاع في دول الحلف ومضاعفة قواتها المدرعة والاسلحة المضادة للدروع. والطائرات بشكل خاص على ضوء الدروس التي استخلصت من حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣.

المعرب

٣ ـ يمكن تفسير الضجة التي قامت في بداية عام ١٩٧٨ حول انتاج القنبلة النترونية، كسلاح نووي تكتيكي. بعد أن علمت أصوات بعض الخبراء العسكريين في الغرب بالتحذير من عدم قدر القوات الكلاسيكية في غربي اوربا على وقف الهجوم المفاجيء المحتمل الذي يمكن أن يشنه حلف وارسو. (المعرب).

بسرعة الى حدودها بعد ان يكون قد احتل دولة او دولتين غيرها، وبهذه الحالة يصبح استخدام «الردع الفردي» حلاً انتحارياً.

وهاتان الملاحظتان تظهران أيضاً ضرورة الوحدة الصادقة الوثيقة بين اعضاء الاحلاف، كما تظهران ايضا المخاطر المترتبة على «صيغة الرد المكيف» ضمن هذه الاحلاف[4].

اما حالة الصراع المحتمل بين الصين والاتحاد السوفياتي فتمتاز بصفات خاصة، لأن لهذين الدولتين حدوداً مشتركة، بالاضافة الى أن اتساع مسارح العمليات الآسيوية والمسافات الشاسعة في هذه القارة تشكل عقبات كأداء خاصة بالنسبة للسوفييت الذين سيكون عليهم في مثل هذه الحالة ان يفعلوا كل شيء لضمان الهدوء على الجبهة الغربية أو أن يفتشوا فيها على المساعدات. أما الصين فيبدو أنها أقل حساسية للتدميرات النووية.

ولكن بصرف النظر عن تبادل الضربات النووية فقد تنشب بين الطرفين معارك قارية غامضة ومتذبذبة، فالاتحاد السوفياتي يملك ورقة جدية رابحة بفضل مواقعه القوية على شواطىء المحيط الهادي يمكن منها تهديد العاصمة بكين والمناطق الصينية الحيوية. وهنا ايضاً تلعب القوى الجوية والبحرية دوراً هاماً حتى في هذه الحرب ذات الطابع القاري.

واخيراً فإننا لا نستطيع في هذه اللحظة الموجزة توسيع بحثنا ليشمل الحالات المتعددة التي تترتب على حروب أقل أهمية؛ ولكنه يبدو لنا أنها ستجري بنفس هذه العقلية.

٢ ـ تشابك الستراتيجيات الوطنية: رأينا كيف أن الدول تضطر في هذه

---

٤ ـ كان الجنرال ديغول أو من اعترض على «الستراتيجية النووية العامة» التي وضعها الخبراء العسكريون الامريكيون. ومن ضمنها هذه الصيغة التي سميت بـ «الرد المكيف Riposteadaptée لأننا قد تترك اوربا الغربية تحت رحمة القصف النووي من الطرفين دون أن يصل ذلك إلى درجة تبادل القصف النووي المباشر بين موسكو وواشنطن. (المعرب).

الأيام للتجمع في زمن السلم كما في زمن الحرب، ولذلك فإن الستراتيجية الوحيدة الفعالة هي ستراتيجية الحلف التي تشكل وحدة متماسكة حيث يلعب كل عضو دوره. وان مصلحة الحلف هي بالطبع أن تكون كل دولة عضوة فيه قوية بقدر الامكان، ولكي يصل الى هذه النتيجة على أحسن وجه سيكون على كل بلدان يرضى ببعض «التخصص» الذي يتلاءم مع امكانيات وموقعه، وهذا يعني ضرورة «تكيف» تشكيل وتنظيم وتسليح قواتها بموجب هذا التخصيص. ومثل هذا التماسك يستلزم تكاملاً شاملاً كما يستلزم حداً معيناً من التنازل عن السيادة الوطنية تتناسب مع هذا التكامل.

ومن الجدير بالذكر أن هذه المرحلة (أي التنازل عن السيادة الوطنية) لا تزال بعيدة عن التحقيق في الكتلة الغربية لأن الدول الحرة لا تتنازل عن استقلالها السياسي ولا عن المصالح والمسؤوليات التي تعتبرها من اختصاصها وحدها، وبالتالي فإنها لا تقبل التنازل عن الوسائل التي تؤمن لها الدفاع عن مصالحها خارج الحلف.

ولذا نلاحظ أن الدول تحتفظ بقوتها العسكرية الوطنية وتجددها باستمرار طبقاً لمستلزمات المهمات التي قد توكل إليها في الغرب أو في العالم الثالث وتسعى هذه البلدان لتكون اسلحتها الباهظة التكاليف قادرة على خدمة ستراتيجيتها الوطنية وخدمة الحلف. ولكنه يندر أن تتطابق هذه المصالح وتلك بل وقد تتعارض أحياناً. وكثيراً ما يحدث ان الالتزامات الوطنية تثقل كاهل «مفهوم الحلف الستراتيجي» لدرجة التأثير عليه. وأخيراً فإن عوامل الجغرافيا الستراتيجية يمكن أن تتبدل أهميتها نسبياً حسب كل حالة على حدة وينتج عن ذلك مشاكل تقنية وسياسية جدية وعندها لا بد من تبني الحلول الوسط لمواجهة كل وضع.

وان ضخامة وطابع المشاكل الستراتيجية الوطنية تختلف من بلد لآخر وتتنوع ايضاً حسب الجزء من المصالح الذي يتعرض للخطر في حرب ما. فالقوى الاستعمارية يجب ان يكون باستطاعتها التدخل في مناطق بعيدة، لأن التحرر من الاستعمار لم يلغ مسؤولياتها، فلا تزال لها بعض الروابط والمصالح بأشكال مختلفة

في مستعمراتها السابقة، وهي لا تستطيع الاعتماد على الدعم والتسهيلات التي يمكن ان تقدمها لها هذه المستعمرات السابقة. وكذلك الامر بالنسبة للدولتين الكبيرتين فقد تجد أن نفسيهما في وضع مشابه على أساس واقع قوتهما ونفوذهما حتى ولو لم يكن لهما الا القليل من الممتلكات الخارجية، بل وقد لا يكون لهما ممتلكات اطلاقاً بالمعنى المعروف في الماضي.

اما الخصوصيات التي لا بد منها فتترتب على المظهر المزدوج للحالات المماثلة، وهي تستدعي إجراء دراسة خاصة وموضوعية للعوامل الجغرافية الستراتيجية لكي تستخدم بشكل مرن لا يستدعي استعمالها من أجل الدفاع الوطني وحده وفي حدود البلد بالذات. وهذا يستدعي تشكيل قوة متحركة ومرنة وقوية قادرة على العمل بسرعة فائقة في أي مكان، وهذه هي «الجزية» التي لا بد من أدائها كثمن «لادارة العظمة» على المستوى الكوني لكي تكون حقيقية ومستقلة عن كل ردع نووي.

ومن هذه اللزوميات والضرورات ينشؤ «مفهوم قوة التدخل» المؤهلة لعدة انواع من المهمات في اطار الحلف وفي الاطار الوطني. كما يجب أن تكون متعددة الكفاءات وسريعة وشديدة المرونة في الاستخدام كما يجب أن تكون على استعداد دائم. ومن الطبيعي أن تكون قوة مختلطة من جميع صنوف الاسلحة وترتبط بقيادة موحدة: والاسطول السادس الامريكي يعتبر مثالاً نموذجياً لهذه القوة لأنه قادر على القيام بأدوار متعددة، فهو قوة نووية ضاربة من ناحية، وقوة لحفظ الأمن (كما حدث في عام ١٩٥٨ عندما تدخل في لبنان)، وقوة ضغط سياسية عسكرية (كما حدث أثناء حملة السويس عام ١٩٥٦).

وتحتفظ الولايات المتحدة الامريكية باستمرار بعدد من قوات التدخل هذه في المحيط الاطلسي، وفي المحيط الهادي ويسلك الاتحاد السوفياتي نفس هذا الطريق تدريجياً.

وأخيراً فإن فرنسا وانكلترا تحاولان اتباع نفس السياسة في حدود امكانيات كل منهما ولن يطول الوقت حتى تلحق بهما الصين ايضاً.

ولكي تبقى في طار موضوعنا يمكن أن نستخلص ببساطة ضرورة اضافة هذه العناصر الجغرافية الستراتيجية المتغيرة التي تمتاز بها «قوات التدخل» الى العوامل الجغرافية السياسية الثابتة.

٣ ـ اراء ستراتيجية ممكنة: تتوقف كل المفاهيم الستراتيجية قبل كل شيء على معرفة العدو معرفة جيدة، يمكن التوصل اليها عن طريق المعلومات والدراسة المسبقة، وكذلك بالتقدير الصحيح لقواته الذاتية ووسائله. وهناك بعض المبادىء التي يمكن استخلاصها مما سبق:

آ ـ الاستعداد: وهو الشرط الدائم للنجاح مهما كان شكل الحرب. و النجاة، تتوقف الى حد بعيد على انتشار القوات والاقتصاد والحماية المنظمة للسكان، وهذا يتطلب ترتيبات طويلة لوضعه موضع التنفيذ، ولكنه يجب أن يتمشى مع الاتجاهات اللامركزية الحديثة والاقليمية الخ...

وعدا عن ذلك فإن التقدم التقني شرط أساسي للتسليح وهو كذلك جزء مرتبط بالعلوم والصناعة كـ «عامل» و«منشط» لها.

وأخيراً فقد اصبح الاعداد المعنوي للسكان ضرورياً أكثر من أي وقت مضى ـ ليس بعقلية عسكرية عفا عليها الدهر ولكن من أجل التفهم الواقعي لكل ما يهدد حياته واستقلاله ولاعطائه ارادة الدفاع عنها في جميع الاحوال وتحول التضحيات اللازمة لذلك مهما كانت ـ واهمال هذه الناحية يؤدي حتماً الى التبعية على المدى الطويل، اكان ذلك عن طريق السلاح أو بواسطة الصراع الدولي الذي لايعرف الرحمة.

ولا يمكن القول أن هناك «مفهوماً ستراتيجياً نووياً» للحروب الشاملة لانه يقوم على نصوص جامدة للاستخدام لايمكن تعديلها، غير أن هذه النصوص تساعد على ايجاد «ستراتيجية سياسة دائمة» تعتمد على «ثقل» البلدان بعضها تجاه بعض، وعلى اختيار الاهداف ومعيار الرشقات النووية. الخ...

أما الحرب نصف النووية التي تستخدم الاسلحة النووية التكتيكية، والاسلحة الكلاسيكية في وقت واحد، وكذلك الحرب التقليدية، التي لا تستخدم

سوى الاسلحة التقليدية فتحتاج الى «تكتيكات» مختلفة، ولكن الخطوط العريضة لمفهوم الستراتيجية فيهما متشابها ونستطيع فيما يلي سردذ بعض مميزاتها:

ـ السيادة الجوية المحلية هامة على الأقل ولفترة محدودة من الزمن، ويعتبر ذلك شرط لابد منه لكل نصر عسكري.

ـ وفي البر يجب أن تتمكن القوى المهاجمة أن تشكل رأس حربة قادرة عاى الاختراق السريع والعميق. ولنجاح ذلك لابد من «المفاجأة» التي تعتبر في هذه الحالة العنصر الحاسم. أما أهداف الاختراق المفضلة فستكون المدن ومراكز العدو الحيوية، المناطق التي يمكن ان تأتي منها المساعدات الخارجة: كما يمكن لهذا الاختراق أن يساعد على رد العدو على اعقابه من أجل التقدم السريع، تمهيداً لتدمير قواته المتخلفة فيما بعد.

والواقع أنه يمكن تأمين تموين الوحدات المهاجمة عن طريق الجو، خاصة وان العدو سيتردد في محاولة ايقافه باستخدام الاسلحة النووية التي ستؤدي الى تدمير اراضيه نفسها ووسائله وسكانه.

ـ اما الستراتيجية الدفاعية فيجب أن تهدف الى تكسير الاندفاع الاولي للعدو وخاصة اندفاع عناصره الأمامية، وذلك بهدف التمكن من استخدام النيران النووية التكتيكية بملء قوتها مع تجنب التدمير الذاتي بقوات المدافع المسلحة وسكانه ووسائله.

أما اذا تم احتلال الاراضي فعند ذلك يمكن «تصور» دفاع داخلي يتألف من عدة «نقاط استناد مغلقة» اوقنفذية تستند الى المواقع الطبيعية المحصنة، كالكتل الجبلية، ولكن ذلك لن يكون له أي معنى الا اذا توفرت له ثلاثة شروط: الاعداد المسبق معنوياً ومادياً واستمرار القتال لفترة طويلة ما أمكن، وأخيراً ضمان تدخل قوات صديقة، وهذه لايمكن أن تأتي الا اذا كان هناك حلف عسكري وسياسي جدي ومتين. وهذا يعني على مستوى القارة الاوربية، وجود حلف متين يملك قوة بحرية كافية.

الخلاصة

من المؤكد أن هذا الكتيب ليس في مستوى المشاكل الهائلة والمعقدة التي يتعرض لها، والتي تتحكم في مستقبل العالم. وان اقصى ما يطمح له هو لفت الانتباه لبعض وجوه هذه المشاكل واظهار صلاتها في «تركيب» عام جداً، ولكنه (أي الكتيب) على أساس «رؤية خاصة للأشياء»، هو أبعد ما يكون عن ادعاء التنبؤ بالمستقبل. ويمكن ان نستخلص من هذا التركيب عدداً من الأفكار على شكل خلاصة.

لقد اظهرت لنا الجغرافيا ـ السياسية والجغرافيا ـ الستراتيجية وجوب عدم النظر للعالم كلوحة تزينها دول مفصولة عن بعضها بخطوط تسمى الحدود، بل كمنظومة مؤلفة من مجموعات كبيرة دائمة التطور ضمن اطار توازن موقت، وان استقرار هذا التوازن وامكانية التحكم بتغيراته يعتبر معياراً لفرص السلام والتقدم الانساني.

وقد أظهرت الوقائع من جانبها أن هذه المجموعات نفسها توزع على شكل «قبيلتين» تقفان بمواجهة بعضهما البعض فوق الكرة الأرضية بكاملها بسبب عوامل طبيعية وبشرية متنوعة، وايديولوجيات متعارضة جذرياً. ويرتدي صراع هاتين القبيلتين اشكالاً متعددة، ويستخدم وسائل متنوعة جداً منها الحرب الباردة والحرب الساخنة، والنزاعات بأشكالها المختلفة، والتعايش السلمي، واستخدام السلاح والمال والايديولوجيات.

وفي كل الحالات يبقى الهدف الدائم هو تمزيق «القبيلة المعادية» بقلب عناصرها واعضائها الواحد تلو الآخر. وقبل كل شيء أولئك الذين يشغلون «مناطق مفتاحية» أو نقاط اتصال في العالم.

والعالم الغربي لم يستطع حتى الآن القيام الا «بعمليات اعاقة» تتخللها مراحل مريرة، أوعلى أحسن حال «توقفات» كما حدث في كوريا وكوبا، ويجد نفسه «أي الغرب» في موضع المتهم «خطأ أم صواباً» على الصعيد الايديولوجي، وهذا يشكل معوقاً رهيباً لتحركاته في هذا الصراع.

ولقد حان الوقت، وأصبح الآن ممكناً أن تؤدي عوامل الجغرافيا ـ السياسية والميول الطبيعية وظائفها العادية فتغير «منحى الأحداث». وقد حدث مثل هذا التحول بالفعل، كما ظهرت بعض المؤشرات التي تدل على امكانية التحول حتى في قلب القبيلة الماركسية نفسها.

اما بالنسبة لفرنسا فإن حضارتها، واحتياجاتها وأمنها تجعل مكانها الطبيعي في جملة العالم الغربي، وان انحسارها الى حدود «مضلعها السداسي» لا يغير شيئاً بل على العكس لأن ذلك يجعل منها عنصراً من أوربا الغربية، ومكانها سيحسب له الحساب في القارة الاوربية كلها وفي العالم اجمع اذا ما احسنت استثمار وضعها وسمعتها، ولأن موقعها والاشعاع العالمي الذي ورثته من ماضيها، تمكنها أن تكون بنفس الوقت الرئة التي تتنفس منها أوربا، والقاعدة التي اليها في المستقبل «الوحدة الاوروافريقية» التي تمليها قوة الاشياء.

واذا كانت «سياسة العظمة» قد أصبحت مفتوحة أمامها فمن واجبها أن تسلك هذا الطريق المزدوج:

طريق غرب أوربا، والطريق الافريقي المحيطي.

الفهرس

صدر عن الأهالي

١ ـ النباتات الطبية واستعمالاتها	د. محمد العودات و د. جورج لحام
٢ ـ المعتزلة والفكر الحر	د. عادل العوا
٣ ـ ساعة الشؤم (رواية)	غابرييل غارسيا ماركيز، ترجمة صالح علماني
٤ ـ من الاتجاهات الفكرية في سورية ولبنان	د. عبدالله حنا
٥ ـ والليل الذي يسكنني (شعر)	ممدوح عدوان
٦ ـ الفضاء هذا العالم الجديد	مجموعة من الباحثين، ترجمة عيسى طنوس
٧ ـ السينما والقضية الفلسطينية	حسين العودات
٨ ـ أناباز (قصيدة طويلة)	سان جون بيرس، ترجمة عبد الكريم كاصد
٩ ـ الفرسان الثلاثة (للاطفال)	سليمان العيسى وصلاح مقداد
١٠ ـ الداء السكري	د. ميه الرحبي
١١ ـ المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة	علي القيّم
١٢ ـ أزهار الكرز (أشعار يابانية)	ترجمة عدنان بغجاتي
١٣ ـ وضاح وليلى (للاطفال)	سليمان العيسى
١٤ ـ القيامة والزبال (مسرحيتان)	ممدوح عدوان
١٥ ـ الذاكرة والغضب (رواية)	فائز الزبيدي
١٦ ـ حكاية الرجل الذي رفسه البغل (قصص)	وليد معماري
١٧ ـ حكى لي الأخرس (سخريات صغيرة)	خطيب بدلة
١٨ ـ قدّاس من أجل فلاح اسباني (رواية)	رامون خ. سيندر، ترجمة عاصم الباشا
١٩ ـ البطل الملحمي في روايات عبد الرحمن منيف	د. أحمد جاسم الحميدي
٢٠ ـ الذهب (قصة للأطفال)	يحيى الشيخ
٢١ ـ التلوث وحماية البيئة	د. محمد العودات
٢٢ ـ مسرح الريادة (دراسة)	عبد الفتاح قلعه جي
٢٣ ـ طبرصف والزينبية	عدنان عمامة
٢٤ ـ الكاتبات السوريات ١٨٩٣ ـ ١٩٨٧	مروان المصري
٢٥ ـ حطين	يوسف سامي اليوسف
٢٦ ـ الانتفاضة بالكاريكاتير	الأهالي

٢٧ ـ زوبُك (رواية)	عزيز نسين، ترجمة: عبد القادر عبد اللي
٢٨ ـ الطفل والاحلام (دراسة)	د. عبد الرزاق جعفر
٢٩ ـ من قاموس التراث	هادي العلوي
٣٠ ـ الحب والظلال (رواية)	ايزابيل الليندي، ترجمة: صالح علماني
٣١ ـ دراسات في أدب عبد السلام العجيلي	مجموعة من الكتاب، تحرير: ابراهيم الجرادي
٣٢ ـ قيامة عبد القهار عبد السميع	حسن. م. يوسف
٣٣ ـ الحياة الفكرية في حلب في القرن التاسع عشر	فريد جحا
٣٤ ـ أرق الليلة الفاصلة	منيف حوراني
٣٥ ـ النفق (رواية)	ارنستو ساباتو، ترجمة: عبد السلام عقيل
٣٦ ـ كيف تُكتب الرواية؟	غابرييل غارسيا ماركيز ـ ترجمة صالح علماني
٣٧ ـ الرؤية المنهجية لدراسة الأخلاق	محمد الجبر
٣٨ ـ تسعة أشهر للولادة	ترجمة غازي أبو عقل
٣٩ ـ مرايا صغيرة (شعر)	شيركو بيكه س
٤٠ ـ السواد (رواية)	حسن حميد
٤١ ـ الجغرافية السياسية والجغرافية الاستراتيجية	أحمد عبد الكريم

تحت الطبع

ـ السؤال الآخر	فاضل الربيعي
ـ سورية الجنوبية	مجموعة من المترجمين
ـ ارتقاء المجتمعات الشرقية	مجموعة من الباحثين السوفييت
ـ تفاح الشيطان (رواية)	احمد يوسف داوود
ـ النقد الأدبي الحديث	سمر روحي الفيصل
ـ الشذوذ الجنسي	د. ناجي الجيوش
ـ سوسيولوجيا الرواية	عبد الرزاق عيد
ـ موت مدرس التاريخ (قصص)	حاتم علي
ـ بم التعلل (شعر)	حميد العقابي

الجغرافية السياسية و الجغرافية الستراتيجية

كتاب : «الجغرافيا ـ السياسية ، والجغرافيا ـ الستراتيجية» الذي نقدمه اليوم للقارىء العربي ، هو محاولة موضوعية جدية أقدم عليها المؤلف الأميرال «بيير سليرييه» لتعيد هذا الميدان الشائك شديد الوعورة ، وتأطيره ، والسعي للاحاطة بفروعه ومقوماته وأسسه العلمية والتاريخية العديدة ، وجعله في متناول الباحثين والخبراء والقادة من سياسيين وعسكريين .

واعتقادنا أن شمولية البحث رغم كثافته وايجازه ، تلفت انتباه القادة الى التشابك والتأثير المتبادل للعناصر الأساسية التي تشكل مكونات ما يمكن تسميته بعلوم «الجغرافيا ـ السياسية ، والجغرافيا ـ الستراتيجية» .

فالمكان والزمان والانسان ، هي العناصر الأساسية لهذه العلوم .

الناشر

السعر ٥٥ ل.س